PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

DUE JUN 15, 1995

رسالة

المحكم والمتشابه

المعروف بتفسير النعماني

تأليف : السيد المرتضى علم الهدى قدس سره

من منشورات

دار السبتري للمطبوعات - قم المقدسة - ايران

'Alam al-Hudá

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL
[redacted]
32101 022108011

بسم الله الرحمن الرحيم

(~~Arab~~) (RECAP)
BP130
.4
.A425
1900z

اسم الکتاب : رساله المحکم والمتشابه
المؤلـــف : السید المرتضی علم الهدی
الناشـــر : دار الشبستری للمطبوعات قم
الفلم والزنگ: لیتو گرافی کرمانی قم
المطبعـــه : نمونـــه
العـــدد: ۱۰۰۰ نسخه

بسم الله الرحمن الرحيم

(ما ورد عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه فى أصناف)
(آيات القرآن ، و أنواعها ، و تفسير بعض آياتها)
(برواية النعماني وهى رسالة مفردة مدونة كثيرة الفوائد)
(نذكرها من فاتحتها الى خاتمتها)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله العدل ذي العظمة و الجبروت ، والعزّ و الملكوت ، الحيّ الّذي لايموت ، و مبدىء الخلق ومعيده ، ومنشىء كلّ شيء ومبيده ، الّذي لم يلد و لم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، واحدلا كالآحاد ، الخالي من الأنداد ، لاإله إلاّ هو راحم العباد ، و صلّى الله على نوره الساطع ، و ضيائه اللاّمع ، محمّد نبيّه و صفيّه وعروته الوثقى ، ومثله الأعلى ، المفضّل على جميع الورى ، وعلى أخيه و وصيّه و وارث علمه و آيته العظمى ، و على آله الأئمّة المصطفين ، و عترته المنتجبين المفضّلين على جميع العالمين ، مصابيح الدُّجى ، و أعلام الهدى ، و سفن النجاة الّذين قرنهم الله بنفسه ونبيّه ، حيث يقول جلّ ثناؤه : «أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول

وأُولي الأمر منكم » (١) فدلّ سبحانه و أرشد إليهم ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله « إنّي مخلف فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا : الثقلين كتاب الله و عترتي ، فانّ ربّي اللّطيف الخبير أنبأني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» وقال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في خطبة له : ألا إنّ العلم الّذي هبط به آدم من السّماء إلى الأرض ، وجميع ما فضّلت به النبيّون في عترة خاتم النبيّين .

واعلم يا أخي وفّقك الله لما يرضيه بفضله ، وجنّبك ما يسخطه برحمته ، أنّ القرآن جليل خطره ، عظيم قدره ، و لمّا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله : أنّ القرآن مع أهلبيته ، وهم التراجمة عنه ، المفسّرون له ، وجب أخذ ذلك عنهم ومنهم ، قال الله تعالى «فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» (٢) ففرض جلّت عظمته على النّاس العلم والعمل بما في القرآن ، فلا يسعهم مع ذلك جهله ، ولا يعذرون في تركه و جميعُ ما أنزله في كتابه عند أهل بيت نبيّه الّذين ألزم العباد طاعتهم ، و فرض سؤالهم ، والأخذ عنهم ، حيث يقول « فاسئلوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون » فالذكر ههنا رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال الله تعالى « قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولا يتلوا عليهم آياته » (٣) الآية ، وأهل الذكر هم أهل بيته ، ولما اختلف النّاس في ذلك أنزل الله تعالى «ثمّ أورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا»(٤) فلم يفرض على عباده طاعة غير من اصطفاه وطهّره ، دون من وقع منه الشكّ أو الظّلم ، ويتوقّع ، فالويل لمن خالف الله تعالى ورسوله وأسند أمره إلى غير المصطفين قال الله تعالى « ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول ياليتني اتّخذت مع الرّسول سبيلا» (٥) فالسبيل ههنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه «يا ويلتى ليتني لم أتّخذ فلاناً خليلاً ☆ لقد أضلّني عن الذكر بعد إذ جائني » والذكر ههنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه « وقال الرسول يارب إنّ قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً » (٦) فالقرآن ههنا إشارة إلى أمير المؤمنين صلوات الله ثمّ وصف

---

(١) النساء : ٥٩ .
(٢) النحل : ٤٣ الانبياء : ٧ .
(٣) الطلاق : ١٠ .
(٤) فاطر : ٣٢ .
(٥ و٦) الفرقان : ٢٧- ٣٠ .

الأئمّة عليهم السلام فقال تعالى : « التائبون العابدون الحامدون السّائحون الرّاكعون السّاجدون الآمرون بالمعروف والنّاهون عن المنكر والحافظون لحدود الله » (١) ألا ترى أنّه لايصلح أن يأمر بالمعروف إلاّ من قد عرف المعروف كلّه حتّى لايخطأ فيه ، و لا يزلّ لا ينسى ، و لا يشكّ ، و لا ينهى عن المنكر إلاّ من عرف المنكر كلّه وأهله ، و لايجوز لأحد أن يقتدي ويأتمّ إلاّ بمن هذه صفته ، وهم الرّاسخون في العلم ، الّذين قرنهم الله بالقرآن ، و قرن القرآن بهم .

قال أبوعبدالله محمّد بن إبراهيم بن جعفر النّعماني رضي الله عنه في كتابه في تفسير القرآن : حدّثنا أحمد بن محمّد بن سعيد بن عقدة قال : حدّثنا أحمد بن يوسف بن يعقوب الجعفي ، عن إسماعيل بن مهران ، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبيه عن إسماعيل بن جابر قال : سمعت أباعبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام يقول : إنّ الله تبارك و تعالى بعث محمّداً فختم به الأنبياء ، فلا نبيّ بعده ، و أنزل عليه كتاباً فختم به الكتب ، فلا كتاب بعده ، أحلّ فيه حلالاً ، وحرّم حراماً ، فحلاله حلال إلى يوم القيامة ، و حرامه حرام إلى يوم القيامة ، فيه شرعكم ، و خبر من قبلكم ، و بعدكم .

و جعله النبيّ صلى الله عليه وآله علماً باقياً في أوصيائه ، فتركهم النّاس ، وهم الشهداء على أهل كلّ زمان ، وعدلوا عنهم ، ثمّ قتلوهم واتّبعوا غيرهم ، و أخلصوا لهم الطّاعة ، حتّى عاندوا من أظهر ولاية ولاة الأمر ، وطلب علومهم ، قال الله سبحانه : « فنسوا حظّاً ممّا ذكّروا به و لا تزال تطّلع على خائنة منهم » (٢) وذلك أنّهم ضربوا بعض القرآن ببعض ، واحتجّوا بالمنسوخ ، و هم يظنّون أنّه النّاسخ واحتجّوا بالمتشابه ، و هم يرون أنّه المحكم ، واحتجّوا بالخاصّ و هم يقدّرون أنّه العامّ ، واحتجّوا بأوّل الآية ، و تركوا السّبب في تأويلها ، و لم ينظروا إلى ما يفتح الكلام و إلى ما يختمه . و لم يعرفوا موارده و مصادره ، إذ لم يأخذوه

---

(١) براءة : ١١٢ .

(٢) المائدة : ١٣ .

عن أهله ، فضلّوا و أضلّوا .

واعلموا رحمكم الله أنّه من لم يعرف من كتاب الله عزّ وجلّ الناسخ من المنسوخ ، والخاصّ من العامّ والمحكم من المتشابه ، والرّخص من العزائم والمكي والمدني ، و أسباب التّنزيل ، والمبهم من القرآن في ألفاظه المنقطعة والمؤلّفة ، وما فيه من علم القضاء والقدر ، والتّقديم والتّأخير ، والمبيّن والعميق ، والظاهر والباطن والابتداء والانتهاء ، والسؤال والجواب ، والقطع والوصل ، والمستثنى منه والجاري فيه ، والصفة لما قبل ممّا يدلّ على مابعد ، و المؤكّد منه ، والمفصّل ، و عزائمه و رخصه ، و مواضع فرائضه و أحكامه ، و معنى حلاله و حرامه الّذي هلك فيه الملحدون ، والموصول من الألفاظ والمحمول على ما قبله ، و على ما بعده ، فليس بعالم بالقرآن ، و لا هو من أهله ، و متى ما ادّعى معرفة هذه الأقسام مدّع بغير دليل ، فهو كاذب مرتاب ، مفتر على الله الكذب و رسوله ، و مأويه جهنّم و بئس المصير .

و لقد سأل أمير المؤمنين صلوات الله عليه شيعته عن مثل هذا ، فقال : إنّ الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام كلّ منها شاف كاف ، وهي أمر ، و زجر و ترغيب ، و ترهيب ، و جدل ، و مثل ، وقصص . و في القرآن ناسخ و منسوخ و محكم و متشابه ، و خاصّ و عامّ ، ومقدّم و مؤخّر ، و عزائم و رخص ، وحلال و حرام ، و فرائض و أحكام ، و منقطع و معطوف ، و منقطع غير معطوف ، وحرف مكان حرف .

و منه ما لفظه خاصّ ، و منه ما لفظه عامّ محتمل العموم ، و منه ما لفظه واحد و معناه جمع ، و منه ما لفظه جمع و معناه واحد ، و منه ما لفظه ماض و معناه مستقبل ، و منه ما لفظه على الخبر و معناه حكاية عن قوم آخر ، و منه ما هو باق محرّف عن جهته ، و منه ما هو على خلاف تنزيله ، و منه ما تأويله في تنزيله ، ومنه ما تأويله قبل تنزيله ، و منه ما تأويله بعد تنزيله .

ومنه آيات بعضها في سورة وتمامها في سورة أخرى ، ومنه آيات نصفها منسوخ

و نصفها متروك على حاله ، و منه آيات مختلفة اللّفظ متفقّة المعنى ، و منه آيات متفقّة اللّفظ مختلفة المعنى ، و منه آيات فيها رخصة و إطلاق بعد العزيمة ، لأنّ الله عزّ وجلّ يحبّ أن يؤخذ برخصه كما يؤخذ بعزائمه .

ومنه رخصة صاحبها فيها بالخيار، إن شاء أخذ ، وإن شاء تركها ، ومنه رخصة ظاهرها خلاف باطنها يعمل بظاهرها عند التقيّة و لا يعمل بباطنها مع التقية و منه مخاطبة لقوم والمعنى لآخرين ، و منه مخاطبة للنبيّ صلى الله عليه وآله و معناه واقع على أمّته و منه لا يعرف تحريمه إلاّ بتحليله ، و منه ما تأليفه وتنزيله على غير معنى ما أنزل فيه .

و منه ردٌّ من الله تعالى واحتجاج على جميع الملحدين والزّنادقة والدّهريّة والثنويّة والقدريّة والمجبّرة و عبدة الأوثان و عبدة النيران ، و منه احتجاج على النّصارى في المسيح عليه السلام ، و منه الردّ على اليهود ، و منه الردّ على من زعم أنّ الايمان لا يزيد و لا ينقص ، و أنّ الكفر كذلك ، و منه ردٌّ على من زعم أن ليس بعد الموت و قبل القيامة ثواب و عقاب .

و منه ردٌّ على من أنكر فضل النبيّ صلى الله عليه وآله على جميع الخلق ، و منه ردٌّ على من أنكر الاسراء به ليلة المعراج ، و منه ردٌّ على من أثبت الرّؤية ، و منه صفات الحقّ و أبواب معاني الايمان و وجوبه و وجوهه ، و منه ردٌّ على من أنكر الايمان والكفر والشرك والظلم والضلال ، و منه ردٌّ على من وصف الله تعالى وحده ، ومنه ردٌّ على من أنكر الرّجعة و لم يعرف تأويلها ، و منه ردٌّ على من زعم أنّ الله عزّ و جلّ لا يعلم الشيء حتّى يكون ، و منه ردٌّ على من لم يعلم الفرق بين المشيّة والارادة والقدرة في مواضع ، ومنه معرفة ماخاطب الله عزّ وجلّ به الأئمّة والمؤمنين.

و منه أخبار خروج القائم منّا عجّل الله فرجه ، و منه ما بيّن الله تعالى فيه شرائع الاسلام ، و فرائض الأحكام ، والسّبب في معني بقاء الخلق و معايشهم و وجوه ذلك ، و منه أخبار الأنبياء و شرائعهم و هلاك أممهم ، و منه ما بيّن الله تعالى في مغازي النبيّ صلى الله عليه وآله وحروبه ، و فضائل أوصيائى ، و ما يتعلّق بذلك

و يتّصل به .

فكانت الشيعة إذا تفرّغت من تكاليفها تسأله عن قسم قسم فيخبرها ، فممّا سألوه عن النّاسخ والمنسوخ ، فقال صلوات الله عليه : إنّ الله تبارك و تعالى بعث رسوله صلّى الله عليه و آله بالرأفة والرّحمة ، فكان من رأفته و رحمته أنّه لم ينقل قومه في أوّل نبوّته عن عادتهم ، حتّى استحكم الاسلام في قلوبهم ، و حلّت الشريعة في صدورهم ، فكانت من شريعتهم في الجاهليّة أنّ المرأة إذا زنت حبست في بيت وأُقيم بأودها حتّى يأتي الموت ، و إذا زنى الرّجل نفوه عن مجالسهم و شتموه و آذوه و عيّروه و لم يكونوا يعرفون غير هذا .

قال الله تعالى في أوّل الاسلام : « واللاّتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهنّ أربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهنّ في البيوت حتّى يتوفّيهنّ الموت أو يجعل الله لهنّ سبيلاً ☆ واللّذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما فانّ الله كان توّاباً رحيماً » (١) .

فلمّا كثر المسلمون ، و قوي الاسلام ، واستوحشوا اُمور الجاهليّة ، أنزل الله تعالى « الزّانية والزّاني فاجلدوا كلّ واحد منهما مائة جلدة » (٢) إلى آخر الآية فنسخت هذه الآية آية الحبس والأذى .

و من ذلك أنّ العدّة كانت في الجاهليّة على المرأة سنة كاملة ، وكان إذا مات الرّجل ألقت المرأة خلف ظهرها شيئا ـ بعره وماجرى مجريها ـ ثمّ قالت : البعل أهون عليّ من هذه ، فلا أكتحل و لا أمتشط و لا أتطيّب و لا أتزوّج سنة ، فكانوا لا يخرجونها من بيتها بل يجرون عليها من تركة زوجها سنة ، فأنزل الله تعالى في أوّل الاسلام « والّذين يتوفّون منكم و يذرون أزواجاً وصيّة لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج » (٣) فلمّا قوي الاسلام ، أنزل الله تعالى « والّذين يتوفّون منكم و يذرون أزواجاً يتربّصن بأنفسهنّ أربعه أشهر وعشراً فاذا بلغن أجلهنّ فلا

---

(١) النساء : ١٥ ـ ١٦ . (٢) النور : ٢ .
(٣) البقرة : ٢٤٠ .

جناح عليهن» (١) إلى آخر الآية .

قال عليه السلام : و من ذلك أن الله تبارك و تعالى لما بعث محمداً صلى الله عليه وآله أمره في بدو أمره أن يدعو بالدعوة فقط ، و أنزل عليه « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ۞ وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً ۞ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ۞ ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذيهم وتوكل على الله و كفى بالله وكيلاً » (٢) فبعثه الله تعالى بالدعوة فقط ، و أمره أن لا يؤذيهم .

فلما أرادوه بماهموا به من تبييته أمره الله تعالى بالهجرة وفرض عليه القتال فقال سبحانه : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير» (٣) فلما أمر الناس بالحرب ، جزعوا وخافوا فأنزل الله تعالى « ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم و أقيموا الصلوة و آتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب ـ إلى قوله سبحانه ـ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » (٤) فنسخت آية القتال آية الكف .

فلما كان يوم بدر و عرف الله تعالى حرج المسلمين ، أنزل على نبيه « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » (٥) فلما قوي الاسلام ، و كثر المسلمون أنزل الله تعالى « و لا تهنوا و تدعوا إلى السلم و أنتم الأعلون والله معكم و لن يتركم أعمالكم» (٦) فنسخت هذه الآية التي أذن لهم فيها أن يجنحوا ، ثم أنزل سبحانه في آخر السورة (٧) « واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم و خدوهم واحصروهم » (٨) إلى آخر الآية .

و من ذلك أن الله تعالى فرض القتال على الأمة فجعل على الرجل الواحد

---

(١) البقرة : ٢٣٤ .
(٢) الاحزاب : ٤٥ ـ ٤٨ .
(٣) الحج : ٣٩ .
(٤) النساء : ٧٧ .
(٥) الانفال : ٦١ .
(٦) القتال : ٣٥ .
(٧) سورة اخرى ظ .
(٨) براءة : ٥ .

أن يقاتل عشرة من المشركين ، فقال : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » (١) إلى آخر الآية ، ثمّ نسخها سبحانه فقال: « الآن خفّف الله عنكم وعلم أنّ فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائةصابرة يغلبوا مائتين » (٢) إلى آخر الآية فنسخ بهذه الآية ما قبلها ، فصار من فرّ من المؤمنين في الحرب إن كانت عدّة المشركين أكثر من رجلين لرجل لم يكن فارّاً من الزّحف ، و إن كان العدّة رجلين لرجل فارّاً من الزحف .

و قال عليه السلام : ومن ذلك نوع آخر ، وهو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا هاجر إلى المدينة آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار و جعل المواريث على الأخوّة في الدّين لا في ميراث الأرحام ، و ذلك قوله تعالى : « إنّ الّذين آمنوا و هاجروا و جاهدوا في سبيل الله والّذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض - إلى قوله سبحانه - والّذين آمنوا و لم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتّى يهاجروا » (٣) فأخرج الأقارب من الميراث ، وأثبته لأهل الهجرة ، و أهل الدّين خاصّة ، ثمّ عطف بالقول فقال تعالى : « والّذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض و فساد كبير » (٤) فكان من مات من المسلمين يصير ميراثه و تركته لأخيه في الدّين ، دون القرابة والرّحم الوشيجة ، فلمّا قوي الاسلام أنزل الله « النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه أمّهاتهم و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلاّ أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً » (٥) فهذا المعنى نسخ آية الميراث .

و منه وجه آخر و هو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا بعث كانت الصلاة إلى قبلة بيت المقدس سنّة بني إسرائيل ، و قد أخبرنا الله بما قصّه في ذكر موسى عليه السلام أن يجعل بيته قبلة ، وهو قوله : « و أوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوّءآ لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة » (٦) وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في أوّل مبعثه يصلّي

(١-٢) الانفال : ٦٥ - ٦٦ . (٣-٤) الانفال : ٧٢ - ٧٣ .
(٥) الاحزاب : ٦ . (٦) يونس : ٨٧ .

إلى بيت المقدس جميع أيّام مقامه بمكّة ، وبعد هجرته إلى المدينة بأشهر، فعيّرته اليهود و قالوا : أنت تابع لقبلتنا ، فأحزن رسول الله ﷺ ذلك منهم فأنزل الله تعالى عليه و هو يقلّب وجهه في السّماء و ينتظر الأمر « قد نرى تقلّب وجهك في السّماء فلنولّينّك قبلة ترضيها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام ، و حيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره لئلاّ يكون للنّاس عليكم حجّه » (١) يعني اليهود في هذا الموضع .

ثمّ أخبرنا الله عزّوجلّ ما العلّة الّتي من أجلها لم يحوّل قبلته من أوّل مبعثه ، فقال تبارك وتعالى : « وما جعلنا القبلة الّتي كنت عليها إلاّ لنعلم من يتّبع الرّسول ممّن ينقلب على عقبيه و إن كانت لكبيرة إلاّ على الّذين هدى الله و ما كان الله ليضيع إيمانكم إنّ الله بالنّاس لرؤف رحيم » (٢) فسمّى سبحانه الصّلاة ههنا إيماناً ، و هذا دليل واضح على أنّ كلام الباري سبحانه لا يشبه كلام الخلق كما لايشبه أفعاله أفعالهم ، و لهذه العلّة وأشباهها لايبلغ أحد كنه معنى حقيقة تفسير كتاب الله تعالى و تأويله إلاّ نبيّه ﷺ و أوصياؤه .

ومن ذلك(*) ماكان مثبتاً في التوراة من الفرائض في القصاص ، وهو قوله : « و كتبنا عليهم فيها أنّ النفس بالنفس والعين بالعين » (٣) إلى آخر الآية فكان الذّكر والأنثى والحرّ والعبد شرعاً سواء . فنسخ الله تعالى ما في التوراة بقوله : « يا أيّها الّذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى » (٤) فنسخت هذه الآية « و كتبنا عليهم فيها أنّ النّفس بالنّفس » .

ومن ذلك(*) أيضاً آصار غليظة كانت على بني إسرائيل في الفرائض ، فوضع الله تعالى تلك الآصار عنهم ، و عن هذه الأمّة ، فقال سبحانه : « و يضع عنهم إصرهم والأغلال الّتي كانت عليهم » (٥) .

---

(١) البقرة : ١٤٤ (٢) البقرة : ١٤٣ .
(٣) المائدة : ٤٥ . (٤) البقرة : ١٧٨ . (٥) الاعراف : ١٥٧ .

(*) فى الاصل بياض ليكتب بالحمرة ولم يكتب بعد و فى الكمبانى « ومن الناسخ » وما اخترناه هوالظاهر.

و منه أنّه تعالى لمّا فرض الصيام فرض أن لا ينكح الرّجل أهله في شهر رمضان بالليل و لا بالنّهار على معنى صوم بني إسرائيل في التوراة ، فكان ذلك محرّماً على هذه الأمّة ، وكان الرّجل إذا نام في أوّل اللّيل قبل أن يفطر فقد حرم عليه الأكل بعد النوم ، أفطر أو لم يفطر .

وكان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يعرف بمطعم بن جبير شيخاً ، فكان في الوقت الّذي حضر فيه الخندق حفر في جملة المسلمين ، وكان ذلك في شهر رمضان ، فلمّا فرغ من الحفر وراح إلى أهله ، صلّى المغرب وأبطأت عليه زوجته بالطّعام ، فغلب عليه النوم فلمّا أحضرت إليه الطعام أنبهته فقال لها : استعمليه أنت فانّي قد نمت و حرم عليّ ، وطوى إليه وأصبح صائماً ، فغدا إلى الخندق وجعل يحفر مع الناس فغشي عليه فسأله رسول الله ﷺ عن حاله فأخبره .

وكان من المسلمين شبّان ينكحون نساءهم بالليل سرّاً لقلّة صبرهم ، فسأل النبيّ الله سبحانه في ذلك فأنزل الله عليه « أحلّ لكم ليلة الصّيام الرّفث إلى نسائكم هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ علم الله أنّكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم و عفا عنكم فالآن باشروهنّ وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتّى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثمّ أتمّوا الصّيام إلى اللّيل » (١) فنسخت هذه الآية ما تقدّمها .

و نسخ قوله تعالى : « و ما خلقت الجنّ والانس إلاّ ليعبدون » (٢) قوله عزّوجلّ : « و لا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربّك و لذلك خلقهم » (٣) أي للرّحمة خلقهم .

و نسخ قوله تعالى : « و إذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه واكسوهم و قولوا لهم قولاً معروفاً » (٤) قوله سبحانه : « يوصيكم

---

(١) البقرة : ١٨٧ .

(٢) الذاريات : ٥٦ .

(٣) هود : ١١٨ . (٤) النساء : ٨ .

الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الأُنثيين » (١) إلى آخر الآية .

ونُسخ (*) قوله تعالى : «يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون» (٢) نسخها قوله تعالى: « فاتّقوا الله ما استطعتم» (٣) .

و نسخ قوله تعالى : « و من ثمرات النّخيل والأعناب تتّخذون منه سكراً و رزقاً حسناً » (٤) آية التحريم وهو قوله جلّ ثناؤه : « قل إنّما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها و ما بطن والاثم والبغي بغير الحقّ » (٥) والاثم ههنا هو الخمر .

ونسخ قوله تعالى : « وإن منكم إلاّ واردها كان على ربّك حتماً مقضيّاً » (٦) قوله : « إنّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنى أُولئك عنها مبعدون ✡ لا يسمعون حسيسها و هم فيما اشتهت أنفسهم خالدون ✡ لا يحزنهم الفزع الأكبر » (٧) .

ونُسخ قوله سبحانه : « وقولوا للنّاس حسناً » (٨) يعني اليهود حين هادنهم رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا رجع من غزاة تبوك أنزل الله تعالى « قاتلوا الّذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر و لا يحرّمون ما حرّم الله و رسوله و لا يدينون دين الحقّ من الّذين أُوتوا الكتاب حتّى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» (٩) فنسخت هذه الآية تلك الهدنة .

وسئل صلوات الله عليه عن أوّل ما أنزل الله عزّ وجلّ من القرآن ، فقال عليه السلام : أوّل ما أنزل الله عزّ وجلّ من القرآن بمكّة سورة « اقرأ باسم ربّك الّذي خلق » و أوّل ما أنزل بالمدينة سُورة البقرة .

ثمّ سألوه صلوات الله عليه عن تفسير المحكم من كتاب الله عزّ وجلّ فقال : أمّا المحكم الّذي لم ينسخه شيء من القرآن فهو قول الله عزّ وجلّ : « هو الّذي

---

(١) النساء : ١١ .
(*) في الاصل بياض وفي الكمباني « ومن المنسوخ » .
(٢) آل عمران : ١٠٢ .
(٣) التغابن : ١٦ .
(٤) النحل : ٦٧ .
(٥) الاعراف : ٣٣ .
(٦) مريم : ٧١ .
(٧) الانبياء : ١٠١-١٠٣ .
(٨) البقرة : ٨٣ .
(٩) براءة : ٢٩ .

أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب و أُخر متشابهات » (١) و إنّما هلك الناس في المتشابه لأنّهم لم يقفوا على معناه ، و لم يعرفوا حقيقته فوضعوا له تأويلات من عند أنفسهم بآرائهم و استغنوا بذلك عن مسألة الأوصياء و نبذوا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وراء ظهورهم ، والمحكم ممّا ذكرته في الأقسام ممّا تأويله في تنزيله من تحليل ما أحلّ الله سبحانه في كتابه ، و تحريم ما حرّم الله من المآكل والمشارب والمناكح .

و منه ما فرض الله عزّ وجلّ من الصّلاة والزّكاة والصيام والحجّ والجهاد و ممّا دلّهم به ممّا لا غنا بهم عنه في جميع تصرّفاتهم مثل قوله تعالى : « يا أيّها الّذين آمنوا إذا قمتم إلى الصّلوة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين » (٢) الآية وهذا من المحكم الّذي تأويله في تنزيله لايحتاج في تأويله إلى أكثر من التّنزيل و منه قوله عزّ وجلّ : « حرّمت عليكم الميتة والدّم و لحم الخنزير و ما أُهلّ لغير الله به » (٣) فتأويله في تنزيله .

و منه قوله تعالى : «حرّمت عليكم أُمّهاتكم و بناتكم وأخواتكم و عمّاتكم و خالاتكم » (٤) إلى آخر الآية فهذا كلّه مُحكم لم ينسخه شيء قد استغني بتنزيله من تأويله ، و كلّ ما يجري هذا المجرى .

ثمّ سألوه عليه السلام عن المتشابه من القرآن فقال : و أمّا المتشابه من القرآن فهو الّذي انحرف منه متّفق اللّفظ مختلف المعنى ، مثل قوله عزّ وجلّ : « يضلّ الله من يشاء و يهدي من يشاء » (٥) فنسب الضّلالة إلى نفسه في هذا الموضع ، و هذا ضلالهم عن طريق الجنّة بفعلهم ، و نسبه إلى الكفّار في موضع آخر ونسبه إلى الأصنام في آية أُخرى .

---

(١) آل عمران : ٧ ، وانما وجب أن تكون هذه الاية محكمة ، لانها تتضمن بحث المحكم والمتشابه ، فلوكان نفسها من المتشابهات لم يثبت تقسيم القرآن الى محكم ومتشابه .

(٢) المائدة : ٦ . (٣) المائدة : ٣ .

(٤) النساء : ٢٣ . (٥) المدثر : ٣١ .

فمعنى الضّلالة على وجوه فمنه ماهو محمود ، ومنه ماهو مذموم ، ومنه ماليس بمحمود و لا مذموم ، و منه ضلال النسيان ، فالضّلال المحمود هو المنسوب إلى الله تعالى وقد بيّنّاه ، والمذمُوم هو قوله تعالى : « وأضلّهم السّامريّ » (١) و قوله : « و أضلّ فرعون قومه وما هدى » (٢) ومثل ذلك في القرآن كثير ، و أمّا الضّلال المنسوب إلى الأصنام فقوله تعالى في قصّة إبراهيم عليه السلام : « واجنبني و بنيّ أن نعبد الأصنام ☆ ربّ إنّهنّ أضللن كثيراً من الناس » (٣) الآية ، والأصنام لم تضلّنّ أحداً على الحقيقة وإنّما ضلّ النّاس بها و كفروا حين عبدوها من دون الله عزّ وجلّ .

و أمّا الضّلال الّذي هُو النسيان ، فهو قوله تعالى : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممّن ترضون من الشهداء أن تضلّ إحديهما فتذكّر إحديهما الأُخرى » (٤) .

و قد ذكر الله تعالى الضّلال في مواضع من كتابه فمنه ما نسبه إلى نبيّه على ظاهر اللّفظ كقوله سبحانه : « و وَجَدَكَ ضالاً فهدى » (٥) معناه وجدناك في قوم لا يعرفون نبوّتك فهديناهم بك .

و أمّا الضّلال المنسوب إلى الله تعالى الّذي هو ضدّ الهدى ، والهدى هو البيان ، و هو معنى قوله سبحانه : « أولم يَهْدِ لَهُمْ » (٦) معناه أي ألم نُبيّن لهم مثل قوله سبحانه : « فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى » (٧) أي بيّنّا لهم .

وجه آخر و هو قوله تعالى : « و ماكان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هديهم حتّى يبيّن لهم ما يتّقون » (٨) و أمّا معنى الهدى فقوله عزّ وجلّ : « إنّما أنت منذر و لكلّ قوم هاد » (٩) ومعنى الهادي ههنا المبيّن لما جاء به المنذر من عندالله

---

(١) طه : ٨٥ .
(٢) طه : ٧٩ .
(٣) ابراهيم : ٣٦.
(٤) البقرة : ٢٨٢ .
(٥) الضحى : ٧ .
(٦) السجدة : ٢٦ .
(٧) فصلت : ١٧ .
(٨) براءة : ١١٥ .
(٩) الرعد : ٧ .

و قد احتجّ قوم من المنافقين على الله تعالى أنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ؟ وذلك أنّ الله تعالى لمّا أنزل على نبيّه ﷺ « ولكلّ قوم هاد» فقال طائفةٌ من المنافقين : ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضلّ به كثيراً ؟ فأجابهم الله تعالى بقوله : « إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأمّا الّذين آمنوا فيعلمون أنّه الحقّ من ربّهم و أمّا الّذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضلّ به كثيراً ويهدي به كثيراً و ما يضلّ به إلاّ الفاسقين - إلى قوله : - أولئك هم الخاسرون » (١) .

فهذا معنى الضلال المنسوب إليه تعالى ، لأنّه أقام لهم الامام الهادي لما جاء به المنذر ، فخالفوه وصرفوا عنه ، بعد أن أقرّوا بفرض طاعته ، ولمّا بيّن لهم ما يأخذون ومايذرون ، فخالفوه ، ضلّوا . هذا مع علمهم بما قاله النبيّ ﷺ ، و هو قوله : لاتصلّوا عليّ صلاة مبتورة إذا صلّيتم عليّ بل صلّوا على أهل بيتي ولاتقطعوهم منّي ، فانّ كلّ سبب و نسب منقطع يوم القيامة إلاّ سببي و نسبي ، و لمّا خالفوا الله تعالى ضلّوا وأضلّوا ، فحذّر الله تعالى الأمّة من اتّباعهم .

وقال سبحانه : « ولاتتّبعوا أهواء قوم قدضلّوا من قبل وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السّبيل » (٢) والسّبيل ههنا الوصيّ و قال سبحانه : « و لا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّيكم به » (٣) الآية فخالفوا ما وصّاهم به الله تعالى واتّبعوا أهواءهم فحرّفوا دين الله جلّت عظمته وشرايعه ، وبدّلوا فرائضه وأحكامه وجميع ما أمروا به ، كما عدلوا عمّن أمروا بطاعته ، وأخذ عليهم العهد بموالاتهم واضطرّهم ذلك إلى استعمال الرأي والقياس فزادهم ذلك حيرة و التباساً .

و أمّا قوله سبحانه : « و ليقول الّذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضلّ الله من يشاء » (٤) فكان تركهم اتّباع الدّليل الّذي أقام

---

(١) البقرة : ٢٦ - ٢٧ . (٢) المائدة : ٧٧ .

(٣) الانعام : ١٥٣ .

(٤) المدثر : ٣١ .

الله لهم ضلالة لهم ، فصار ذلك كأنّه منسوب إليه تعالى ، لمّا خالفوا أمره في اتّباع الامام، ثمّ افترقوا واختلفوا ، ولعن بعضهم بعضاً، واستحلّ بعضهم دماء بعض ، فماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال ، فأنّى يؤفكون .

ولمّا أردت قتل الخوارج بعد أن أرسلت إليهم ابن عبّاس لاقامة الحجّة عليهم قلت: يا معشر الخوارج أنشدكم الله ألستم تعلمون أنّ في القرآن ناسخاً و منسوخاً و محكماً و متشابهاً ، و خاصّاً و عامّاً ؟ قالوا: اللّهمّ نعم فقلت : اللّهمّ اشهد عليهم ثمّ قلت : أنشدكم الله هل تعلمون ناسخ القرآن و منسوخه ، و محكمه و متشابهه وخاصّه وعامّه ؟ قالوا: اللّهمّ لا ، قلت: أنشدكم الله هل تعلمون أنّي أعلم ناسخه و منسوخه ، و محكمه و متشابهه ، و خاصّه و عامّه ؟ قالوا : اللّهمّ نعم ، فقلت : من أضلّ منكم إذ قد أقررتم بذلك ، ثمّ قلت : اللّهمّ إنّك تعلم أنّي حكمت فيهم بما أعلمه .

ثمّ قال صلوات الله عليه : و أوصاني رسول الله ﷺ فقال: يا عليّ إن وجدت فئة تقاتل بهم فاطلب حقّك ، و إلاّ فالزم بيتك ، فانّي قد أخذت لك العهد يوم غديرخمّ بأنّك خليفتي ووصيّي ، وأولى النّاس بالنّاس من بعدي ، فمثلك كمثل بيت الله الحرام ، يأتونك النّاس و لا تأتيهم .

يا أباالحسن حقيق على الله أن يدخل أهل الضّلال الجنّة ، وإنّما أعني بهذا المؤمنين الّذين قاموا في زمن الفتنة على الايتمام بالامام الخفيّ المكان ، المستور عن الأعيان ، فهم بامامته مقرّون ، و بعروته مستمسكون ، و لخروجه منتظرون موقنون غير شاكّين ، صابرون مسلمون ، وإنّما ضلّوا عن مكان إمامهم و عن معرفة شخصه .

يدلّ على ذلك أنّ الله تعالى إذا حجب عن عباده عين الشمس الّتي جعلها دليلاً على أوقات الصّلاة ، فموسّع عليهم تأخير الوقت ، ليتبيّن لهم الوقت بظهورها و يستيقنوا أنّه قد زالت ، فكذلك المنتظر لخروج الامام عليه السلام المتمسّك بامامته موسّع عليه ، جميع فرائض الله الواجبة عليه مقبولة منه بحدودها غير خارج عن

معنى ما فرض عليه ، فهو صابر محتسب لا تضرّه غيبة إمامه .

ثمّ سألوه صلوات الله عليه عن لفظ الوحي في كتاب الله تعالى فقال: منه وحي النبوّة ، و منه وحي الالهام ، و منه وحي الاشارة ، و منه وحي أمر ، و منه وحي كذب ، ومنه وحي تقدير ، [ومنه وحي خبر] ومنه وحي الرّسالة .

فأما تفسير وحي النبوّة والرّسالة فهو قوله تعالى : « إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيّين من بعده و أوحينا إلى إبراهيم و إسمعيل و يعقوب » (١) إلى آخر الآية .

و أمّا وحي الالهام فقوله عزّ وجلّ : « وأوحى ربّك إلى النّحل أن اتّخذي من الجبال بيوتاً و من الشّجر وممّا يعرشون » (٢) ومثله « وأوحينا إلى أُمّ موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليمّ » (٣) .

وأمّا وحي الاشارة فقوله عزّ وجلّ : « فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبّحوا بكرة و عشيّاً » (٤) أي أشار إليهم لقوله تعالى : « ألاّ تكلّم النّاس ثلثة أيّام إلاّ رمزاً » (٥) .

و أمّا وحي التقدير فقوله تعالى : « و أوحى في كلّ سماء أمرها و قدّر فيها أقواتها » (٦) .

و أمّا وحي الأمر فقوله سبحانه : « و إذ أوحيت إلى الحواريّين أن آمنوا بي و برسولي » (٧) .

و أمّا وحي الكذب فقوله عزّ وجلّ : « شياطين الانس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض » (٨) إلى آخر الآية .

و أمّا وحي الخبر فقوله سبحانه : « وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا و أوحينا

---

(١) النساء : ١٦٣ .
(٢) النحل : ٦٨ .
(٣) القصص : ٧ .
(٤) مريم : ١١ .
(٥) آل عمران : ٤٩ .
(٦) فصلت : ١٢ .
(٧) المائدة : ١١١ .
(٨) الانعام : ١١٢ .

إليهم فعل الخيرات و إقام الصّلوة وإيتاء الزّكوة وكانوا لنا عابدين » (١) .

و سألوه صلوات الله عليه عن متشابه الخلق فقال: هو على ثلاثة أوجه و رابع فمنه خلق الاختراع فقوله سبحانه : « خلق السّموات والأرض في ستّة أيّام » (٢) وأمّا خلق الاستحالة فقوله تعالى : « يخلقكم في بطون اُمّهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث » (٣) و قوله تعالى : « هوالّذي خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ من مضغة مخلّقة و غير مخلّقة لنبيّن لكم و نقرّ في الأرحام ما نشاء » (٤) و أمّا خلق التقدير فقوله لعيسى عليه السلام : « و إذ تخلق من الطّين كهيئة الطّير» (٥) إلى آخر الآية ، وأمّا خلق التغيير فقوله تعالى : « و لآمرنّهم فليغيرنّ خلق الله » (٦) .

وسألوه عليه السلام عن المتشابه في تفسير الفتنة فقال: « ألم أحسب النّاس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا و هم لا يفتنون » (٧) و قوله لموسى عليه السلام : « و فتنّاك فتوناً » (٨) و منه فتنة الكفر و هو قوله تعالى : « لقد ابتغوا الفتنة من قبل و قلّبوا لك الأمور حتّى جاء الحقّ و ظهر أمر الله » (٩)

[و قوله تعالى : « والفتنة أكبر من القتل » (١٠) يعني ههنا الكفر] و قوله سبحانه في الّذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك أن يتخلّفوا عنه من المنافقين فقال الله تعالى فيهم : « ومنهم من يقول ائذن لي ولاتفتنّي ألا في الفتنة سقطوا » (١١) يعني ائذن لي و لا تكفّرني ، فقال عزّوجلّ : « ألا في الفتنة سقطوا و إنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين » .

---

(١) الانبياء : ٧٣ .
(٢) الاعراف : ٥٤ . (٣) الزمر : ٦ .
(٤) غافر : ٦٧ . (٥) المائدة : ١١٠ .
(٦) النساء : ١١٩ . (٧) العنكبوت : ٢ .
(٨) طه : ٤٠ . (٩) براءة : ٤٨ .
(١٠) البقرة : ٢١٧ ، ومابين العلامتين لايوجد في الاصل.
(١١) براءة : ٤٩ .

ومنه فتنة العذاب وهو قوله تعالى « يوم هم على النّار يفتنون » (١) أي يعذّبون « ذوقوا فتنتكم هذا الّذي كنتم به تستعجلون » (٢) أي ذوقوا عذابكم ، ومنه قوله تعالى « إنّ الّذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثمّ لم يتوبوا » (٣) أي عذّبوا المؤمنين ومنه فتنة المحبّة للمال و الولد كقوله تعالى « إنّما أموالكم وأولادكم فتنة » (٤) أي إنّما حبّكم لها فتنة لكم .

ومنه فتنة المرض وهو قوله سبحانه « أولا يرون أنّهم يفتنون في كلّ عام مرّة أو مرّتين ثمّ لا يتوبون ولا هم يذّكّرون » (٥) أي يمرضون و يعتلّون .

وسألوه صلوات الله عليه عن المتشابه في القضاء ، فقال : هو عشرة أوجه مختلفة المعنى فمنه قضاء فراغ ، وقضاء عهد ، ومنه قضاء إعلام ، و منه قضاء فعل ، ومنه قضاء إيجاب ، ومنه قضاء كتاب ، و منه قضاء إتمام ، ومنه قضاء حكم وفصل ، ومنه قضاء خلق ، ومنه قضاء نزول الموت .

أمّا تفسير قضاء الفراغ من الشيء فهو قوله تعالى « و إذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ يستمعون القرآن فلمّا حضروه قالوا أنصتوا فلمّا قضي ولّوا إلى قومهم » (٦) معنى « فلمّا قضي » أي فلمّا فرغ ، و كقوله « فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله » (٧) .

أمّا قضاء العهد فقوله تعالى « و قضى ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه » (٨) أي عَهِد ، ومثله في سورة القصص « وما كنت بجانب الطور إذ قضينا إلى موسى الأمر » (٩) أي عهدنا إليه .

أمّا قضاء الاعلام فهو قوله تعالى « و قضينا إليه ذلك الأمر أنّ دابر هؤلاء

(١-٢) الذاريات : ١٣ و ١٢ .
(٣) البروج : ١٠ .
(٤) التغابن : ١٥ ، الانفال : ٢٨ .
(٥) براءة : ١٢٦ . (٦) الاحقاف : ٢٩ .
(٧) البقرة : ٢٠٠ . (٨) الاسراء : ٢٣ . (٩) القصص : ٤٤ .

مقطوع مصبحين» (١) وقوله سبحانه « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنّ في الأرض مرّتين » (٢) أي أعلمناهم في التوراة ماهم عاملون .

أما قضاء الفعل فقوله تعالى في سورة طه « فاقض ما أنت قاض » (٣) أي افعل ما أنت فاعل ، ومنه في سورة الأنفال « ليقضي الله أمراً كان مفعولا» (٤) أي يفعل ما كان في علمه السابق ، ومثل هذا في القرآن كثير .

أمّا قضاء الايجاب للعذاب كقوله تعالى في سورة إبراهيم عليه السلام « و قال الشيطان لمّا قضي الأمر » (٥) أي لمّا وجب العذاب ، و مثله في سورة يوسف عليه السلام « قضي الأمر الّذي فيه تستفتيان » (٦) معناه أي وجب الأمر الّذي عنه تسائلان .

أمّا قضاء الكتاب والحتم فقوله تعالى في قصّة مريم « وكان أمراً مقضيّاً » (٧) أي معلوماً.

وأمّا قضاء الاتمام فقوله تعالى في سورة القصص « فلمّا قضى موسى الأجل» (٨) أي فلمّا أتمّ شرطه الّذي شارطه عليه ، و كقول موسى عليه السلام « أيّما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ » (٩) معناه إذا أتممت .

و أمّا قضاء الحكم فقوله تعالى « قضي بينهم بالحقّ و قيل الحمد لله ربّ العالمين» (١٠) أي حكم بينهم ، وقوله تعالى « والله يقضي بينهم بالحقّ والّذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إنّ الله هو السميع العليم » (١١) و قوله سبحانه « و الله يقضي بالحقّ وهو خير الفاصلين » (١٢) و قوله تعالى في سورة يونس « وقضي بينهم

---

(١) الحجر : ٦٦ .
(٢) الاسراء : ٤ .
(٣) طه : ٧٢ .
(٤) الانفال : ٤٢ .
(٥) ابراهيم : ٢٢ .
(٦) يوسف : ٤١ .
(٧) مريم : ٢١ .
(٨) القصص : ٢٩ .
(٩) القصص : ٢٨ .
(١٠) الزمر : ٧٥ .
(١١) غافر : ٢٠ .
(١٢) الانعام : ٥٧، والاية في المصحف الكريم هكذا: «ان الحكم الا لله يقص الحق ←

بالقسط» (١) .

و أمّا قضاء الخلق فقوله سبحانه « فقضيهنّ سبع سموات في يومين » (٢) أي خلقهنّ .

و أمّا قضاء إنزال الموت فكقول أهل النّار في سورة الزخرف « و قالوا يا مالك ليقض علينا ربّك قال إنّكم ماكثون » (٣) أي لينزل علينا الموت ، و مثله « لايقضى عليهم فيموتوا ولا يخفّف عنهم من عذابها » (٤) أي لا ينزل عليهم الموت فيستريحوا ، ومثله في قصّة سليمان بن داود « فلمّا قضينا عليه الموت مادلّهم على موته إلاّ دابّة الأرض تأكل منسأته » (٥) يعني تعالى لمّا أنزلنا عليه الموت .

و سألوه صلوات الله عليه عن أقسام النّور في القرآن قال : النور القرآن والنور اسم من أسماء الله تعالى ، والنور التورية ، والنور القمر ، والنور ضوء المؤمن وهو الموالات الّتي يلبس بها نوراً يوم القيامة ، والنور في مواضع من التوراة والانجيل والقرآن حجّة الله عزّوجلّ على عباده ، و هو المعصوم ، ولمّا كلّم الله تعالى ابن عمران عليه السلام أخبر بني إسرائيل فلم يصدّقوه ، فقال لهم : ما الّذي يصحّح ذلك عندكم؟ قالوا : سماعه ، قال : فاختاروا سبعين رجلاً من خياركم .

فلمّا خرجوا معه ، أوقفهم وتقدّم فجعل يناجي ربّه ، ويعظّمه ، فلمّا كلّمه قال لهم : أسمعتم ؟ قالوا : بلى ، ولكنّا لاندري أهو كلام الله أم لا ؟ فليظهر لنا حتّى

← وهو خير الفاصلين» لكنه أيضاً من القراءات المشهورة : قال الطبرسي في المجمع : قرأ أهل الحجاز و عاصم « يقص الحق » والباقون «يقضي الحق» ، حجة من قرأ «يقضي الحق» قوله « والله يقضي بالحق » وحكى عن أبي عمرو انه استدل بقوله « و هو خير الفاصلين» في أن الفصل في الحكم ليس في القصص ، و حجة من قرأ «يقص» قوله «والله يقول الحق» وقالوا : قد جاء الفصل في القول أيضاً في نحو قوله : « انه لقول فصل » .

(١) يونس : ٥٤ . (٢) فصلت : ١٢ .
(٣) الزخرف : ٧٧ . (٤) فاطر : ٣٦ .
(٥) سبأ : ١٤ .

نراه فنشهد لك عند بني إسرائيل ، فلمّا ، قالوا ذلك صعقوا فماتوا .

فلمّا أفاق موسى ممّا تغشّاه ، ورآهم ، جزع و ظنّ أنّهم إنّما أُهلكوا بذنوب بني إسرائيل فقال : يا ربّ أصحابي وإخواني أنست بهم ، وأنسوابي، وعرفتهم و عرفوني « أفتهلكنا بما فعل السّفهاء منّا إن هي إلاّ فتنتك تضلّ بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت وليّنا فاغفرلنا و ارحمنا و أنت خير الغافرين » (١) فقال تعالى «عذابي أُصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كلّ شيء - إلى قوله سبحانه - : النبيّ الأُمّيّ الّذي يجدونه مكتوباً عندهم في التورية و الانجيل يأمرهم بالمعروف و ينهيهم عن المنكر و يحلّ لهم الطيّبات و يحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم و الأغلال الّتي كانت عليهم فالّذين آمنوابه و عزّروه ونصروه واتّبعوا النور الّذي أُنزل معه أُولئك هم المفلحون » (٢) فالنور في هذا الموضع هوالقرآن .

و مثله في سورة التغابن قوله تعالى : « فآمنوا بالله و رسوله و النّور الّذي أنزلناه » (٣) يعني سبحانه القرآن وجميع الأوصياء المعصومين ، حملة كتاب الله عزّوجلّ ، وخزنته وتراجمته ، الّذين نعتهم الله في كتابه فقال « ومايعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم يقولون آمنّابه كلٌّ من عند ربّنا » (٤) .

وهم المنعوتون الّذين أنارالله بهم البلاد ، وهدى بهم العباد ، قال الله تعالى في سورة النور « الله نورالسّموات والأرض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنّها كوكب درّيّ » (٥) إلى آخر الآية ، فالمشكوة رسول الله صلى الله عليه وآله ، والمصباح الوصيّ ، والأوصياء عليهم السلام والزجاجة فاطمة ، والشجرة المباركة رسول الله صلى الله عليه وآله والكوكب الدّرّي ، القائم المنتظر الّذي يملاء الأرض عدلاً .

ثمّ قال تعالى « يكاد زيتها يضيىء ولولم تمسسه نار» أي ينطق به ناطق ، ثمّ قال تعالى « نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله

(١-٢) الاعراف : ١٥٥ - ١٥٧ .

(٣) التغابن : ٨ .

(٤) آل عمران : ٧ . (٥) النور : ٣٥ .

بكلّ شيء عليم » ثمّ قال عزّوجلّ « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة » (١) وهم الأوصياء .

قال الله تبارك و تعالى في سورة الأنعام في ذكر التوراة ، و أنّها نور : « قل من أنزل الكتاب الّذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس» (٢) وقال الله تعالى في سورة يونس «هوالّذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً» (٣) ومثله في سورة نوح عليه السلام قوله تعالى « و جعل القمر فيهنّ نوراً » (٤) و قال سبحانه « الحمدلله الّذي خلق السموات و الأرض و جعل الظلمات و النور » (٥) يعني اللّيل و النّهار و قال سبحانه في سورة البقرة « الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور» (٦) يعني من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ، فسمّى الايمان ههنا نوراً ومثله في سورة إبراهيم عليه السلام « لتخرج الناس من الظلمات إلى النور » (٧) .

وقال عزّوجلّ في سورة براءة « يريدون ليطفؤا نورالله بأفواههم » (٨) يعني نور الاسلام بكفرهم وجحودهم ، و قال سبحانه في سورة النساء « وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً»(٩)«يهدي الله لنوره من يشاء»(١٠)وقال سبحانه في سورة الحديد في ذكر المؤمنين«يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم بشريكم اليوم جنّات تجرى من تحتها الأنهار » (١١) وفيها : « انظرونا نقتبس من نوركم » (١٢) أي نمشى في ضوئكم ، و مثل هذا في القرآن كثير .

وسألوه صلوات الله عليه عن أقسام الأمّة في كتاب الله تعالى فقال : قوله تعالى :

---

(١) النور : ٣٦ .　　(٢) الانعام : ٩١ .
(٣) يونس : ٥ .　　(٤) نوح : ١٦ .
(٥) الانعام : ١.　　(٦) البقرة : ٢٥٧ .
(٧) ابراهيم : ١ .
(٨) براءة : ٣٢ ، وفيه «يريدون أن يطفئوا» نعم مثل مافى المتن فى سورة الصف : ٨.
(٩) النساء : ١٧٤ .　　(١٠) النور : ٣٥ .
(١١-١٢) الحديد : ١٢ - ١٣ .

«كان النّاس أُمّة واحدة فبعث الله النبيّين مبشّرين و منذرين» (١) منها الأُمّة أي الوقت الموقّت كقوله سبحانه في سورة يوسف «و قال الّذي نجامنهما و ادّكر بعد أُمّة» (٢) أي بعد وقت، و قوله سبحانه «و لئن أخّرنا عنهم العذاب إلى أُمّه معدودة» (٣) أي إلى وقت معلوم، و الأُمّة هي الجماعة قال الله تعالى «وجد عليه عليه أُمّة من النّاس يسقون» (٤) و الأُمّة الواحد من المؤمنين قال الله تعالى «إنّ إبراهيم كان أُمّة» (٥) والأُمّة جمع دوابّ وجمع طيور قال الله تعالى «و ما من دابّة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلاّ أُمم أمثالكم» (٦) أي جماعات يأكلون ويشربون ويتناسلون وأمثال ذلك.

و سألوه صلوات الله عليه عن الخاصّ والعامّ في كتاب الله تعالى، فقال: إنّ من كتاب الله تعالى آيات لفظها الخصوص و العموم، ومنه آيات لفظها لفظ الخاصّ ومعناه عامٌّ، ومن ذلك لفظ عامٌّ يريد به الله تعالى العموم و كذلك الخاصّ أيضاً.

فامّا ماظاهره العموم ومعناه الخصوص فقوله عزّ وجلّ «يابني إسرائيل اذكروا نعمتي الّتي أنعمت عليكم وأنّي فضّلتكم على العالمين» (٧).

فهذا اللّفظ يحتمل العموم و معناه الخصوص، لأنّه تعالى إنّما فضّلهم على عالم أزمانهم بأشياء خصّهم بها، مثل المنّ و السّلوى، و العيون الّتي فجّرها لهم من الحجر، وأشباه ذلك، و مثله قوله تعالى «إنّ الله اصطفى آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين» (٨) أراد الله تعالى أنّه فضّلهم على عالمي زمانهم و كقوله تعالى «واُوتيت من كلّ شيء ولها عرش عظيم» (٩) يعني سبحانه بلقيس و هي مع هذا لم يؤت أشياء كثيرة ممّا فضّل الله تعالى به الرّجال على النساء

---

(١) البقرة: ٢١٣.
(٢) يوسف، ٤٥.
(٣) هود: ٨.
(٤) القصص: ٢٣.
(٥) النحل، ١٢٠.
(٦) الانعام: ٣٨.
(٧) البقرة: ٤٧، ١٢٢.
(٨) آل‌عمران: ٣٣.
(٩) النمل: ٢٣.

ومثل قوله تعالى « تدمّر كلّ شيء بأمر ربّها » (١) يعني الرّيح وقد تركت أشياء كثيرة لم تدمّرها .

ومثل قوله عزّ وجلّ « ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس » (٢) أراد سبحانه بعض النّاس ، و ذلك أنّ قريشاً كانت في الجاهلية تفيض من المشعر الحرام ، ولا يخرجون إلى عرفات كسائر العرب ، فأمرهم الله سبحانه أن يفيضوا من حيث أفاض رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه ، و هم في هذا الموضع النّاس على الخصوص وارجعوا عن سنّتهم .

وقوله « لئلاّ يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل » (٣) يعني بالنّاس ههنا اليهود فقط ، وقوله تعالى « يا أيّها الّذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون (٤) وهذه الآية نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر وقوله عزّ وجلّ « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً » (٥) نزلت في أبي لبابة و إنّما هو رجل واحد ، وقوله تعالى : « يا أيّها الّذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودّة » (٦) نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وهو رجل واحد فلفظ الآية عامٌّ ومعناها خاصٌّ وإن كانت جارية في الناس .

وقوله سبحانه « الّذين قال لهم النّاس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً و قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » (٧) نزلت هذه الآية في نعيم بن مسعود الأشجعيّ و ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا رجع من غزاة أحد وقد قتل عمّه حمزة ، وقتل من المسلمين من قتل ، وجرح من جرح ، و انهزم من انهزم ولم ينله القتل والجرح ، أوحى الله تعالى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن اخرج في وقتك هذا لطلب قريش ، ولاتخرج معك من أصحابك إلاّ كلّ من كانت به جراحة ، فأعلمهم

---

(١) الاحقاف : ٢٥ .
(٢) البقرة : ١٩٩ .
(٣) النساء : ١٦٥ .
(٤) الانفال : ٢٧ .
(٥) براءة : ١٠٢ .
(٦) الممتحنة : ١ .
(٧) آل عمران : ١٧٣ .

بذلك ، فخرجوا معه على ماكان بهم من الجراح حتّى نزلوا منزلاً يقال له : حمراء الأسد ، وكانت قريش قد جدّت السّير فرقاً ، فلمّا بلغهم خروج رسول الله ﷺ في طلبهم ، خافوا فاستقبلهم رجل من أشجع يقال له نعيم بن مسعود يريد المدينة ، فقال له أبوسفيان صخر بن حرب يا نعيم هل لك أن أضمن لك عشر قلائص وتجعل طريقك على حمراء الأسد فتخبر محمّداً أنّه قدجاء مدد كثير من حلفائنا من العرب : كنانة و عشيرتهم والأحابيش ، و تهوّل عليهم ما استطعت ، فلعلّهم يرجعون عنّا .

فأجابه إلى ذلك و قصد حمراء الأسد فأخبر رسول الله ﷺ بذلك ، و أنّ قريشاً يصبحون يجمعهم الّذي لاقوام لكم به ، فاقبلوا نصيحتي و ارجعوا ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : حسبنا الله ونعم الوكيل ، اعلم أنّا لانبالي بهم ، فأنزل الله سبحانه على رسوله « الّذين استجابوا لله و الرّسول من بعد ما أصابهم القرح للّذين أحسنوا منهم و اتّقوا أجر عظيم ☆ الّذين قال لهم النّاس إنّ النّاس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً و قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » و إنّما كان القائل لهم نعيم بن مسعود فسمّاه الله تعالى باسم جميع النّاس ، وهكذا كلّ ما جاء تنزيله بلفظ العموم ومعناه الخصوص .

و مثله قوله تعالى « إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلوة ويؤتون الزكوة و هم راكعون » (١) .

وأمّا ما لفظه خصوص و معناه عموم فقوله عزّ وجلّ « من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنّه من قتل نفساً بغير نفس أوفساد في الأرض فكأنّما قتل النّاس جميعاً ، ومن أحياها فكأنّما أحيا النّاس جميعاً » (٢) فنزل لفظ الآية خصوصاً في بني إسرائيل وهوجار على جميع الخلق عامّاً لكلّ العباد ، من بني إسرائيل وغيرهم من الأمم ، ومثل هذا كثير في كتاب الله .

---

(١) المائدة : ٥٥ .

(٢) المائدة : ٣٢ .

و قوله سبحانه : « الزاني لا ينكح إلاّ زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلاّ زان أو مشرك و حرّم ذلك على المؤمنين » (١) نزلت هذه الآية في نساء كنّ بمكّة معروفات بالزّنا منهنّ سارة وحنتمة و رباب حرّم الله تعالى نكاحهنّ، فالآية جارية في كلّ من كان من النساء مثلهنّ ، ومثله قوله سبحانه : « و جاء ربّك والملك صفّاً صفّاً » (٢) و معناه جميع الملائكة .

و أمّا ما لفظه ماض و معناه مستقبل ، فمنه ذكره عزّ وجلّ أخبار القيامة والبعث والنّشور والحساب ، فلفظ الخبر ما قد كان ، و معناه أنّه سيكون ، قوله : « ونفخ في الصّور فصعق من في السّموات ومن في الأرض إلاّ من شاء الله - إلى قوله - وسيق الّذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زمراً » (٣) فلفظه ماض ومعناه مستقبل و مثله قوله سبحانه : « و نضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئاً » (٤) و أمثال هذا كثير في كتاب الله تعالى .

و أمّا ما نزل بلفظ العموم ولايراد به غيره ، فقوله : « يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم إنّ زلزلة السّاعة شيء عظيم » (٥) و قوله : « يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر و أنثى » (٦) وقوله سبحانه : « يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم الّذي خلقكم من نفس واحدة » (٧) و قوله : « الحمدُ لله ربّ العالمين » و قوله : « كان النّاس أمّة واحدة » (٨) أي على مذهب واحد ، و ذلك كان من قبل نوح عليه السلام و لمّا بعثه الله اختلفوا ثمّ بعث النّبيّين مبشّرين و منذرين .

و أمّا ما حرّف من كتاب الله فقوله : « كنتم خير أئمّة أخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر » فحرّفت إلى خير أمّة : و منهم الزّناة واللاّطة والسّرّاق و قطّاع الطّريق والظلمة و شرّاب الخمر والمضيّعون لفرائض

---

(١) النور : ٣ .
(٢) الفجر : ٢٢ .
(٣) لقمان : ١٨ .
(٤) الانبياء : ٤٧ .
(٥) الحج : ١ .
(٦) الحجرات : ١٣ .
(٧) النساء : ١ .
(٨) البقرة : ٢١٣ .

الله تعالى، والعادلُون عن حدوده ، أفترى الله تعالى مدح من هذه صفته ؟ .

و منه قوله عزّ وجلّ في سورة النّحل : « أن تكُون أئمّة هي أربى من أئمّة » (١) فجعلُوها أمّة وقوله في سورة يوسُف: «ثمّ يأتي من بعدذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يُعصرون» (٢) أي يمطرون فحرّفوه و قالوا : يَعصرون ، وظنّوا بذلك الخمر ، قال الله تعالى : « و أنزلنا من المعصرات ماء ثجّاجاً » (٣) و قوله تعالى : « فلمّا خرّ تبيّنت الانس أن لوكانت الجنّ يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » (٤) فحرّفوها بأن قالوا : « فلمّا خرّ تبيّنت الجنّ أن لوكانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين » .

وقوله تعالى في سورة هود عليه السلام : « أفمن كان على بيّنة من ربّه » يعني رسول الله صلى الله عليه وآله « و يتلوه شاهد منه » وصيّه « إماماً و رحمة و من قبله كتاب موسى أولئك يؤمنون به » (٥) فحرّفوا وقالوا : «أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً و رحمة » فقدّموا حرفاً على حرف ، فذهب معنى الآية .

و قال سبحانه في سورة آل عمران : (٦) « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذّبهم فانّهم ظالمون لآل محمّد » فحذفوا آل محمّد (٧) .

و قوله تعالى : « و كذلك جعلناكم أئمّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً » (٨) و معنى وسطاً بين الرّسول و بين الناس فحرّفوها وجعلوها « أمّة » ، و مثله في سورة عمّ يتسائلون « و يقول الكافر ياليتني كنت ترابيّاً » (٩) فحرّفوها و قالوا : تراباً ، و ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان

---

(١) النحل : ٦٢ . (٢) يوسف : ٤٩ .
(٣) النبأ : ١٤ . (٤) سبأ : ١٤ .
(٥) هود : ١٧ (٦) آل‌عمران : ١٢٨ .
(٧) و فى بعض روايات الباب أن الاية كانت هكذا : « ليس لك من الامر شيء أن يتوب عليهم أوتعذبهم فانهم ظالمون » راجع ج ٩٢ ص ٦١ من هذه الطبعة الحديثة تفسير العياشى ج ١ ص ١٩٨ .
(٨) البقرة : ١٤٣ . (٩) النبأ آخر آية منها .

يكثر من مخاطبتي بأبي تراب ، و مثل هذا كثير .

و أمّا الآية الّتي نصفها منسوخ و نصفها متروك بحاله لم ينسخ ، و ما جاء من الرخصة بعد العزيمة قوله تعالى . « و لا تنكحوا المشركات حتّى يؤمنّ ولأمة مؤمنه خير من مشركة و لو أعجبتكم ولا تُنكحوا المشركين حتّى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك و لو أعجبكم » (١) و ذلك أنّ المسلمين كانوا ينكحون في أهل الكتاب من اليهود والنّصارى و ينكحونهم ، حتّى نزلت هذه الآية نهياً أن ينكح المسلم من المشرك أو ينكحونه .

ثمّ قال تعالى في سورة المائدة ما نسخ هذه الآية فقال : « و طعام الّذين أُوتوا الكتاب حلٌّ لكم و طعامكم حلٌّ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الّذين أُوتوا الكتاب من قبلكم » (٢) فأطلق عزّوجلّ منا كحتهنّ بعد أن كان نهى ، وترك قوله: « و لا تُنكحوا المشركين حتّى يؤمنوا » على حاله لم ينسخه .

فأمّا الرّخصة الّتي هي الاطلاق بعد النّهي فانّ الله تعالى فرض الوضوء على عباده بالماء الطّاهر ، و كذا الغسل من الجنابة ، فقال: « يا أيّها الّذين آمنوا إذا قمتم إلى الصّلوة فاغسلوا وجوهكم و أيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم و أرجلكم إلى الكعبين و إن كنتم جنباً فاطّهروا و إن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحدٌ منكم من الغائط أولمستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمّموا صعيداً طيّباً» (٣) فالفريضة من الله عزّوجلّ الغسل بالماء عند وجوده لا يجوز غيره ، والرّخصة فيه إذا لم يجد الماء التيمّم بالتّراب من الصّعيد الطيّب .

ومثله قوله عزّوجلّ : « حافظوا على الصّلوات والصّلوة الوسطى و قوموا لله قانتين » (٤) فالفرض أن يصلّي الرّجل الصلاة الفريضة على الأرض بركوع وسجود تامّ ثمّ رخّص للخائف فقال سبحانه : « فان خفتم فرجالاً أوركباناً » (٥)

---

(١) البقرة : ٢٢١ . (٢) المائدة : ٥ .
(٣) المائدة : ٦ . (٤) البقرة : ٢٣٨ .
(٥) البقرة : ٢٣٩ .

و مثله قوله عزّ وجلّ : « فاذا قضيتم الصّلوة فاذكروا الله قياماً و قعوداً و على جنوبكم » (١) و معنى الآية أنّ الصّحيح يصلّي قائماً والمريض يصلّي قاعداً و من لم يقدر أن يصلّي قاعداً صلّى مضطجعاً ويؤمي نائماً ، فهذه رخصة جاءت بعد العزيمة .

ومثله قوله تعالى: « شهر رمضان الّذي أُنزل فيه القرآن -إلى قوله تعالى- فمن شهد منكم الشّهر فليصمه » (٢) ثمّ رخّص للمريض والمسافر بقوله سبحانه : « فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدّة من أيّام أُخر يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر» (٣) فانتقلت فريضة العزيمة الدائمة للرّجل الصّحيح لموضع القدرة و زالت الضّرورة تفضّلاً على العباد .

وأمّا الرّخصة الّتي ظاهرها خلاف باطنها (٤) فانّ الله تعالى نهى المؤمن أن يتّخذ الكافر ولياً ثمّ منّ عليه باطلاق الرّخصة له عند التقيّة في الظّاهر أن يصوم بصيامه و يفطر بافطاره ، ويصلّي بصلاته ، ويعمل بعمله ، و يُظهر له استعماله ذلك موسّعاً عليه فيه ، و عليه أن يدين الله تعالى في الباطن بخلاف مايُظهر لمن يخافه من المخالفين المستولين على الأُمّة قال الله تعالى : « لا يتّخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين و من يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلاّ أن تتّقوا منهم تقية و يحذّركم الله نفسه » (٥) فهذه رخصة تفضّل الله بها على المؤمنين رحمةً لهم ليستعملوها عند التّقيّة في الظّاهر، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله يحبّ أن يؤخذ

---

(١) النساء : ١٠٣ . (٢) البقرة ، ١٨٥ .

(٣) البقرة : ١٨٤ و١٨٥ .

(٤) فى الاصل والكمبانى « وأما الرخصة التى صاحبها فيها بالخيار» الخ والصحيح مافى المتن كما ستعرف ولما فى تفسير القمى ص١٥ : هكذا : وأما الرخصة التى صاحبها فيها بالخيار ان شاء أخذ وان شاء ترك فان الله جل وعز رخص أن يعاقب الرجل الرجل على فعله به ، فقال « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله » فهذا بالخيار ان شاء عاقب وأن شاء عفى ، وأما الرخصة التى ظاهرها خلاف باطنها يعمل بظاهرها ، ولايدان بباطنها ، فان الله تبارك وتعالى نهى أن يتخذ المؤمن الكافر ولياً الى آخر كلامه الذى يشابه ذلك .

(٥) آل عمران : ٢٨ .

برخصه كما يحبّ أن يؤخذ بعزائمه .

و أمّا الرّخصة الّتي صاحبها فيها بالخيار ، فانّ الله تعالى رخّص أن يعاقب العبد على ظلمه ، فقال الله تعالى : « جزاء سيّئة سيّئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله » (١) و هذا هو فيه بالخيار إن شاء عفى و إن شاء عاقب .

[وأمّا الرّخصة الّتي ظاهرها خلاف باطنها](٢) .

والمنقطع المعطوف في التنزيل هو أنّ الآية من كتاب الله عزّ وجلّ كانت تجيء بشيء ما، ثمّ تجيء منقطعة المعنى بعد ذلك ، وتجيء بمعنى غيره ، ثمّ تعطف بالخطاب على الأوّل مثل قوله تعالى : « و إذ قال لقمان لابنه و هو يعظه يا بنيّ لا تشرك بالله إنّ الشّرك لظلم عظيم » (٣) ثمّ انقطعت وصيّة لقمان لابنه فقال : « ووصّينا الانسان بوالديه حملته أمّه وهناً على وهن - إلى قوله : - إليّ مرجعكم فأنبّئكم بما كنتم تعملون» ثمّ عطف بالخطاب على وصيّة لقمان لابنه فقال : «يا بنيّ إنّها إن تك مثقال حبّة من خردل فتكن في صخرة أو في السّموات أو في الأرض يأت بها الله إنّ الله لطيف خبير » .

و مثل قوله عزّ وجلّ : « أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول و أولي الأمر منكم » (٤) ثمّ قال تعالى في موضع آخر عطفاً على هذا المعنى : « يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله و كونوا مع الصّادقين» (٥) كلاماً معطوفاً على أولي الأمر منكم .

وقوله تعالى: «أقيموا الصّلوة و آتوا الزّكوة» (٦) ثمّ قال تعالى في الأمر بالجهاد : « كتب عليكم القتال و هو كره لكم و عسى أن تكرهوا شيئاً و هو خير

---

(١) الشورى : ٤٠ .

(٢) كذا في الاصل وهذه الجملة انما تناسب آية التقية كما عرفت عن تفسير القمى، فلعلها كانت ساقطة عن المتن مثبتة فى الهامش ، فألصقها الكتاب بهذا الموضع غلطاً .

(٣) لقمان : ١٣-١٦ . (٤) النساء : ٥٩ .

(٥) براءة : ١١٩ .

(٦) البقرة : ٤٣ ، ١١٠ .

لكم» (١) الآية.

و مثله قوله عزّوجلّ في سورة المائدة: «و ما أكل السّبع إلاّ ما ذكّيتم و ما ذبح على النّصب و أن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق» (٢) ثمّ قطع الكلام بمعنى ليس يشبه هذا الخطاب فقال تعالى: «اليوم يئس الّذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام ديناً» ثمّ عطف على المعنى الأوّل والتحريم الأوّل فقال سبحانه: «فمن اضطرّ في مخمصة غير متجانف لاثم فانّ الله غفور رحيم».

و كقوله عزّوجلّ: «قل سيروا في الأرض ثمّ انظروا كيف كان عاقبة المكذّبين» (٧) ثمّ اعترض تعالى بكلام آخر فقال: «قل لمن ما في السّموات و ما في الأرض قل لله كتب على نفسه الرّحمة ليجمعنّكم إلى يوم القيمة لا ريب فيه» ثمّ عطف على الكلام الأوّل فقال عزّوجلّ: «الّذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون».

و كقوله في سورة العنكبوت: «و إبراهيم إذ قال لقومه يا قوم اعبدوا الله واتّقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ☆ إنّما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً إنّ الّذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً ـ إلى قوله تعالى: ـ وما على الرّسول إلاّ البلاغ المبين» (٤) ثمّ استأنف القول بكلام غيره فقال سبحانه: «أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثمّ يعيده إنّ ذلك على الله يسير ☆ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثمّ الله ينشيء النشأة الآخرة إنّ الله على كلّ شيء قدير ☆ يعذّب من يشاء و يرحم من يشاء وإليه تقلبون ☆ و ما أنتم بمعجزين في الأرض و لا في السّماء ومالكم من دون الله من وليّ ولا نصير ☆ والّذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم» ثمّ عطف القول على الكلام الأوّل في وصف إبراهيم فقال تعالى: «فما كان جواب قومه إلاّ أن

---

(١) البقرة: ٢١٦.
(٢) المائدة: ٣.
(٣) الانعام: ١١-١٢.
(٤) العنكبوت: ١٧-٢٤.

قالوا اقتلوه أو حرّقوه فأنجيه الله من النّار » ثمّ جاء تعالى بتمام قصّة إبراهيم عليه السّلام في آخر الآيات .

و مثله قوله عزّوجلّ : « و لقد فضّلنا بعض النبيّين على بعض و آتينا داود زبوراً » (١) ثمّ قطع الكلام فقال : « قل ادعوا الّذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضرّ عنكم ولاتحويلاً » ثمّ عطف على القول الأوّل فقال ـ تمامه في معنى ذكر الأنبياء وذكر داود ـ « أولئك الّذين يدعون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة أيّهم أقرب و يرجون رحمته و يخافون عذابه إنّ عذاب ربّك كان محذوراً » .

و مثله قوله عزّوجلّ : « آمن الرّسول بما أنزل إليه من ربّه والمؤمنون كلّ آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله لا نفرّق بين أحد من رسله و قالوا سمعنا و أطعنا غفرانك ربّنا و إليك المصير » (٢) ثمّ استأنف الكلام فقال : « لا يكلّف الله نفساً إلاّ وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ثمّ رجع وعطف تمام القول الأوّل فقال : « ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » إلى آخر السّورة ، وهذا وأشباهه كثير في القرآن .

وأما ما جاء في أصل التنزيل حرف مكان حرف فهو قوله عزّوجلّ : « لئلاّ يكون للنّاس عليكم حجّة إلاّ الّذين ظلموا منهم » (٣) معناه و لا الّذين ظلموا منهم ، و قوله تعالى : « و ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلاّ خطأ » (٤) معناه ولاخطأ و كقوله : « ياموسى لاتخف إنّي لايخاف لدىّ المرسلون ☆ إلاّ من ظلم ثمّ بدّل حسناً بعد سوء » (٥) و إنّما معناه : و لا من ظلم ثمّ بدّل حسناً بعد سوء .

و قوله تعالى : « و لا يزال بنيانهم الّذي بنواريبة في قلوبهم إلاّ أن تقطّع قلوبهم » (٦) وإنّما معناه إلى أن تقطّع قلوبهم ومثله كثير في كتاب الله عزّوجلّ .

---

(١) أسرى : ٥٥-٥٧ .　　(٢) البقرة : ٢٨٥-٢٨٦ .
(٣) النساء : ١٦٥ .　　(٤) النساء : ٩٢ .
(٥) النمل : ١٠ .
(٦) براءة : ١١٠ .

[وأمّا ماهومتّفق اللفظ مختلف المعنى قوله](١) : « واسئل القرية الّتي كنّا فيها والعير الّتي أقبلنا فيها » (٢) وإنّما عنى أهل القرية وأهل العير ، وقوله تعالى : « و تلك القرى أهلكناهم لمّا ظلموا » (٣) و إنّما عنى أهل القرى و قوله : « و كذلك أخذ ربّك إذا أخذ القرى و هي ظالمة » (٤) يعني أهلها .

و أمّا احتجاجه تعالى على الملحدين في دينه و كتابه ورسله فانّ الملحدين أقرّوا بالموت ولم يقرّوا بالخالق ، فأقرّوا بأنّهم لم يكونوا ثمّ كانوا ، قال الله تعالى : « ق ۞ والقرآن المجيد ۞ بل عجبوا أن جائهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ۞ ءإذا متنا و كنّا تراباً ذلك رجع بعيد » و كقوله عزّوجلّ : « و ضرب لنا مثلاً و نسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ۞ قل يحييها الّذي أنشأها أوّل مرّة » (٥) و مثله قوله تعالى : « و من النّاس من يجادل في الله بغير علم و يتّبع كلّ شيطان مريد (٦) كتب عليه أنّه من تولّيه فانّه يضلّه و يهديه إلى عذاب السّعير » (٧) .

فردّ الله تعالى عليهم ما يدلّهم على صفة ابتداء خلقهم و أوّل نشئهم « يا أيّها النّاس إن كنتم في ريب من البعث فانّا خلقناكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ من مضغة مخلّقة و غير مخلّقة لنبيّن لكم و نقرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمّى ثمّ نخرجكم طفلاً ثمّ لتبلغوا أشدّكم و منكم من يتوفّى و منكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً » (٨) فأقام سبحانه على الملحدين الدّليل عليهم من أنفسهم ثمّ قال مخبراً لهم : « و ترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت و ربت و أنبتت من كلّ زوج بهيج ۞ ذلك بأنّ الله هو الحقّ

---

(١) زيادة أضفناها من تفسير القمى ص ١٤ .

(٢) يوسف : ٨٢ . (٣) الكهف : ٥٩ .

(٤) هود : ١٠٢ . (٥) يس : ٧٨-٧٩ .

(٦) فى الاصل : « بغيرعلم و لا هدى و لاكتاب منير » و هو تتمة الاية الثامنة .

(٧) الحج : ٣ و ٤ . (٨) الحج : ٥-٧ .

و أنّه يحيي الموتى و أنّه على كلّ شيء قدير ۞ و أنّ السّاعة آتية لا ريب فيها و أنّ الله يبعث من في القبور » .

وقال سبحانه : « والله الّذي أرسل الرّياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميّت فأحيينا به الأرض بعد موتها و كذلك النشور » (١) فهذا مثال إقامة الله عزّ وجلّ لهم الحجّة في إثبات البعث والنشور بعد الموت .

و قال أيضاً في الردّ عليهم : « فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون ۞ و له الحمد في السّموات والأرض وعشيّاً وحين تظهرون ۞ يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ و يحيي الأرض بعد موتها و كذلك تخرجون » (٢) .

ومثله قوله عزّ وجلّ « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودّة و رحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون ۞ و من آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم و ألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين ۞ و من آياته منامكم باللّيل و النّهار و ابتغاؤكم من فضله إنّ في ذلك لآيات لقوم يسمعون ۞ و من آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً و ينزّل من السّماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون ۞ و من آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثمّ إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون » (٣) .

و احتجّ سبحانه عليهم وأوضح الحجّة وأبان الدّليل ، وأثبت البرهان عليهم من أنفسهم ، و من الآفاق و من السّموات و الأرض ، بمشاهدة العيان ، و دلائل البرهان ، وأوضح البيان ، في تنزيل القرآن ، كلّ ذلك دليل على الصّانع القديم المدبّر الحكيم ، الخالق العليم ، الجبّار العظيم ، سبحان الله ربّ العالمين .

وأمّا الردّ على عبدة الأصنام والأوثان فقوله تعالى حكاية عن قول إبراهيم في الاحتجاج على أبيه « ياأبت لم تعبد مالا يسمع و لا يبصر ولا يغني عنك شيئاً » (٤) وقوله حين كسر الأصنام فقالوا له من كسرها « و من فعل هذا بآلهتنا إنّه لمن

---

(١) فاطر : ٩ .　　(٢) الروم : ١٧ .
(٣) الروم : ٢١ - ٢٥ .　　(٤) مريم : ٤٢ .

الظالمين ـ إلى قوله ـ فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون»(١) ولما جاء قالوا له « ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم إن كانوا ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ✡ ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون » قال « أفتعبدون ما تنحتون ✡ والله خلقكم و ماتعملون » (٢) فلما انقطعت حجتهم « قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين » (٣) إلى آخر القصص ، فقال الله تعالى « يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم » .

و مثل ذلك قول الله عز وجل لقريش على لسان نبيه ﷺ « إن الذين تعبدون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ✡ ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا» (٤) وقوله سبحانه « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا » (٥) ومثل ذلك كثير .

و أما الرد على الثنوية من الكتاب فقوله عز وجل « ما اتخذ الله من ولد وماكان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون » (٦) فأخبر الله تعالى أن لو كان معه آلهة لا نفرد كل إله منهم بخلقه ولأبطل كل منهم فعل الآخر و حاول منازعته ، فأبطل تعالى إثبات إلهين خلاقين بالممانعة وغيرها .

ولو كان ذلك لثبت الاختلاف ، وطلب كل إله أن يعلو على صاحبه ، فإذا شاء أحدهم أن يخلق إنساناً و شاء الآخر أن يخلق بهيمة اختلفا و تباينا في حال واحد

---

(١) الانبياء : ٦٠ ـ ٦٦ .

(٢) الصافات : ٩٦ ـ ٩٧ .

(٣) الانبياء : ٦٩ ـ ٧٠ .

(٤) الاعراف : ١٩٤ ـ ١٩٥ .

(٥) أسرى : ٥٦ .

(٦) المؤمنون : ٩١ .

واضطرّهما ذلك إلى التضادّ والاختلاف والفساد ، وكلّ ذلك معدوم ، و إذا بطلت هذه الحال كذلك ثبت الوحدانيّة بكون التدبير واحداً ، والخلق متّفق غير متفاوت والنّظام مستقيم .

وأبان سبحانه لأهل هذه المقالة ومن قاربهم أنّ الخلق لا يصلحون إلاّ بصانع واحد ، فقال « لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا » (١) ثمّ نزّه نفسه فقال « سبحان الله عمّا يصفون » و الدّليل على أنّ الصّانع واحد ، حكمة التدبير و بيان التقدير .

وأمّا الرّدّ على الزنادقة فقوله تعالى : « و من نعمّره ننكّسه في الخلق أفلا يعقلون » (٢) فأعلمنا تعالى أنّ الّذي ذهب إليه الزّنادقة من قولهم : إنّ العالم يتولّد بدوران الفلك ، و وقوع النطفة في الأرحام ، لأنّ عندهم أنّ النّطفة إذا وقعت تلقّاها الأشكال الّتي تشاكلها فيتولّد حينئذ بدوران القدرة (٣) والاشكال الّتي تتلقّاها مرور اللّيل والنّهار ، والأغذية والأشربة والطبيعة ، فتتربّى وتنتقل وتكبر ، فعكس تعالى قولهم بقوله « ومن نعمّره ننكّسه في الخلق » معناه أنّ من طال عمره و كبر سنّه رجع إلى مثل ما كان عليه في حال صغره وطفوليّته ، فيستولي عليه عند ذلك النقصان في جميع آلاته ، و يضعف في جميع حالاته ، ولو كان الأمر كما زعموا من أنّه ليس للعباد خالق مختار ، لوجب أن يكون تلك النسمة أو ذلك الانسان زائداً أبداً مادامت الأشكال ـ الّتي ادّعوا أنّ بها كان قوامها بتدائها ـ قائمة ، والفلك ثابت ، والغذاء ممكن ، ومرور اللّيل والنهار متّصل .

ولمّا صحّ في العقول معنى قوله تعالى « ومن نعمّره ننكّسه في الخلق » وقوله سبحانه « و منكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً » (٤) علم أنّ هذا من تدبير الخالق المختار وحكمته ووحدانيّته وابتداعه للخلق فتثبت وحدانيّته

(١) الانبياء : ٢٢ . (٢) يس : ٦٨

(٣) الفلك ظ .

(٤) الحج : ٥ ، النحل : ٧٠ .

جلّت عظمته . و هذا احتجاج لا يمكن الزنادقة دفعه بحال ، و لا يجدون حجّة في إنكاره .

و مثله قوله تعالى « أولم ير الانسان أنّا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ۞ و ضرب لنا مثلاً و نسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ۞ قل يحييها الّذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكلّ خلق عليم » (١) فردّ سبحانه عليهم احتجاجهم بقوله : «قل يحييها الّذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكلّ خلق عليم» إلى آخر السورة .

و أمّا الرّدّ على الدّهريّة الّذين يزعمون أنّ الدّهر لم يزل أبداً على حال واحدة ، و أنّه ما من خالق ، و لا مدبّر ، ولا صانع ، ولا بعث ، و لا نشور قال تعالى حكاية لقولهم « وقالوا إن هي إلاّ حياتنا الدّنيا نموت ونحيى و مايهلكنا إلاّ الدّهر ومالهم بذلك من علم» (٢) « وقالوا أئذا كنّا عظاماً ورفاتا أئنّا لمبعوثون خلقاً جديداً ۞ قل كونوا حجارة أوحديداً أوخلقاً ممّا يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الّذي فطركم أوّل مرّة » (٣) ومثل هذا في القرآن كثير .

وذلك ردٌّ على من كان في حياة رسول الله ﷺ يقول هذه المقالة ممّن أظهر له الايمان و أبطن الكفر والشرك ، و بقوا بعد رسول الله ﷺ و كانوا سبب هلاك الأمّة فردّ الله تعالى بقوله « يا أيّها النّاس إن كنتم في ريب من البعث فانّا خلقنا كم من تراب ثمّ من نطفة ـ إلى قوله سبحانه ـ لكيلا يعلم بعد علم شيئاً» (٤) ثمّ ضرب للبعث و النشور مثلاً فقال تعالى « و ترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت و ربت إنّ الذي أحياها لمحيي الموتى» (٥) وماجرى ذلك في القرآن .

وقوله سبحانه في سورة ق ردّاً على من قال «أئذامتنا و كنّا تراباً ذلك رجع بعيد» (٦) « قدعلمنا ماتنقص الأرض منهم» إلى قوله سبحانه « فأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج » (٧) وهذا وأشباهه ردٌّ على الدّهريّة والملحدة ممّن أنكر البعث

---

(١) يس : ٧٨ ـ ٨٣ .
(٢) الجاثية : ٢٤ .
(٣) أسرى : ٤٩ ـ ٥١ .
(٤ ـ ٥) الحج : ٥ .
(٦) ق : ٣ .
(٧) ق ، ٤ ـ ١٠ .

و النشور .

وأمّاماجاء في القرآن على لفظ الخبر ومعناه الحكاية فمن ذلك قوله عزّوجلّ « و لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين و ازدادوا تسعاً » (١) و قدكانوا ظنّوا أنّهم لبثوا يوماً أو بعض يوم ، ثمّ قال الله تعالى : « قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السّموات والأرض» (٢) الآية فخرجت ألفاظ هذه الحكايـة على لفظ ليس معناه معنى الخبر وإنّما هوحكاية لما قالوه ، والدّليل على ذلك أنّه حكاية ، قوله « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم » إلى آخرالآية ، و قوله عزّوجلّ عند ذكر عدّتهم « ما يعلمهم إلاّ قليل » مثل حكايته عنهم في ذكر المدّة « ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين و ازدادوا تسعاً قل الله أعلم بمالبثوا » فهذا معطوف على قوله « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم » فهذه الآية من المنقطع المعطوف ، وهي على لفظ الخبر ومعناه حكاية .

و مثله قوله عزّوجلّ « كلُّ الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلاّ ما حرّم إسرائيل على نفسه » (٣) وإنّما خرج هذا على لفظ الخبر وهوحكاية عن قوم من اليهود ادّعوا ذلك ، فردّ الله تعالى عليهم « قل فأتوا بالتورية فاتلوهـا إن كنتم صادقين » أي انظروا في التوراة هل تجدون فيها تصديق ما ادّعيتموه .

ومثله في سورة الزّمر قوله تعالى « ومانعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى »(٤) فلفظ هذا خبر ومعناه حكاية ومثله كثير .

و أمّا الرّدُّ على النّصارى فانّ رسول الله ﷺ احتجّ على نصارى نجران لمّاقدموا عليه ليناظروه ، فقالوا : يامحمّد ما تقول في المسيح ؟ قال: هوعبدالله يأكل ويشرب ، قال: فمن أبوه ؟ فأوحى الله إليه يامحمّد سلهم عن آدم هل هوإلاّ بشرمخلوق يأكل ويشرب ، وأنزل الله عليه « إنّ مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب ثمّ قال له كن فيكون » (٥) فسألهم عن آدم فقالوا نعم ، قال : فأخبروني من أبوه

---

(١) الكهف : ٢٥ - ٢٦ .　(٢) الكهف : ٢٢ .

(٣) آل‌عمران : ٩٣ ، وبعده : من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة الاية .

(٤) الزمر : ٣ .　(٥) آل‌عمران : ٥٩ .

فلم يجيبوه بشيء ، و لزمتهم الحجّة فلم يقرّوا بل لزموا السّكوت ، فأنزل الله تعالى عليه « فمن حاجّك فيه من بعد ما جائك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا و أبنائكم و نسائنا و نسائكم و أنفسنا و أنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » (١) .

فلمّا دعاهم إلى المباهلة قال علماؤهم: لو باهلنا بأصحابه باهلناه ، ولم يكن عندنا صادق في قوله ، فأمّا أن يباهلنا بأهل بيته خاصّة فلا نباهله . . . . وأعطوه الرّضا وشرط عليهم الجزية والسّلاح حقناً لدمائهم ، وانصرفوا .

وأمّا السّبب الّذي به بقاء الخلق فقد بيّن الله عزّوجلّ في كتابه أنّ بقاء الخلق من أربع وجوه : الطعام و الشّراب واللباس و الكنّ و المناكح للتناسل مع الحاجة في ذلك كلّه إلى الأمر و النهي ، فأمّا الأغذية فمن أصناف النبات والأنعام المحلّل أكلها قال الله تعالى في النبات « إنّا صببنا الماء صبّاً ✡ ثمّ شققنا الأرض شقّاً ✡ فأنبتنا فيها حبّاً ✡ وعنباً وقضباً ✡ وزيتوناً ونخلاً ✡ وحدائق غلباً ✡ وفاكهة وأبّاً ✡ متاعاً لكم و لأنعامكم » (٢) وقال تعالى « أفرأيتم ما تحرثون ✡ ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » (٣) و قال سبحانه « و الأرض وضعها للأنام ✡ فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام ✡ والحبّ ذوالعصف والريحان » (٤) وهذا وشبهه ممّا يخرجه الله تعالى من الأرض سبباً لبقاء الخلق .

وأمّا الأنعام فقوله تعالى « والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافع ومنها تأكلون ✡ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون »(٥) الآية وقوله سبحانه «وإنّ لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم ممّا في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين» (٦).

وأمّا اللباس والأكنان قوله تعالى « والله جعل لكم ممّا خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً و جعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ و سرابيل تقيكم بأسكم

---

(١) آل عمران : ٦١ .
(٢) عبس : ٢٥ ـ ٣٢ .
(٣) الواقعة : ٦٣ ـ ٦٤ .
(٤) الرحمن : ١٠ ـ ١٢ .
(٥) النحل : ٥ ـ ٦ .
(٦) النحل : ٦٦ .

كذلك يتمّ نعمته عليكم لعلّكم تسلمون »(١) وقال تعالى « يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله » (٢) والخير هو البقاء والحياة .

وأمّا المناكح فقوله تعالى « يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر و أنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقيكم» (٣) وقال تعالى « يا أيّها النّاس اعبدوا ربّكم الّذي خلقكم و الّذين من قبلكم » (٤) و قال سبحانه « يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم الّذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً و نساء و اتّقوا الله الّذي تسائلون به و الأرحام إنّ الله كان عليكم رقيباً » (٥) وقال عزّ وجلّ « وأنكحوا الأيامى منكم والصّالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله » (٦) الآية وقال تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة و رحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون » (٧) و مثل هذا كثير في كتاب الله تعالى في معنى النكاح وسبب التناسل .

و الأمر و النّهي وجه واحد : لا يكون معنى من معاني الأمر إلاّ ويكون بعد ذلك نهياً ، و لايكون وجه من وجوه النهي إلاّ و مقرون به الأمر قال الله تعالى : « يا أيّها الّذين آمنوا استجيبوا لله و الرسول إذا دعاكم لما يحييكم » (٨) إلى آخر الآية فأخبر سبحانه أنّ العباد لايحيون إلاّ بالأمر والنّهي كقوله تعالى: «ولكم في القصاص حيوة ياأولي الألباب» (٩) ومثله قوله تعالى « اركعوا واسجدوا واعبدوا ربّكم و افعلوا الخير » (١٠) فالخير هو سبب البقاء و الحياة .

---

(١) النحل : ٨١ .
(٢) الاعراف : ٢٦ .
(٣) الحجرات: ١٣ .
(٤) البقرة : ٢١ .
(٥) النساء : ١ .
(٦) النور : ٣٢ .
(٧) الروم : ٢١ .
(٨) الانفال : ٢٤
(٩) البقرة : ١٧٩ .
(١٠) الحج : ٧٧

وفي هذا أوضح دليل على أنّه لابدّ للأمّة من إمام يقوم بأمرهم ، فيأمرهم وينهاهم، ويقيم فيهم الحدود ويجاهد العدوّ ويقسم الغنايم ، ويفرض الفرائض ، ويعرّفهم أبواب ما فيه صلاحهم ، ويحذّرهم ما فيه مضارّهم ،إذ كان الأمر والنهي أحد أسباب بقاء الخلق ، وإلاّ سقطت الرغبة والرهبة ، ولم يرتدع ، ولفسد التدبير وكان ذلك سبباً لهلاك العباد في أمر البقاء و الحياة في الطعام و الشراب و المساكن و الملابس والمناكح من النساء والحلال والحرام والأمر والنهي إذ كان سبحانه لم يخلقهم بحيث يستغنون عن جميع ذلك ، ووجدنا أوّل المخلوقين وهو آدم عليه السلام لم يتمّ له البقاء والحياة إلاّ بالأمر والنهي قال الله عزّ وجلّ « يا آدم اُسكن أنت وزوجك الجنّة و كلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة » (١) فدلّهما على ما فيه نفعهما و بقاؤهما ونهاهما عن سبب مضرّتهما ، ثمّ جرى الأمر و النهي في ذرّيتهما إلى يوم القيامة ولهذا اضطرّ الخلق إلى أنّه لابدّ لهم من إمام منصوص عليه من الله عزّ وجلّ يأتي بالمعجزات ، ثمّ يأمر النّاس و ينهاهم .

وإنّ الله سبحانه خلق الخلق على ضربين : ناطق عاقل فاعل مختار ، وضرب مستبهم فكلّف النّاطق العاقل المختار، وقال سبحانه : «خلق الانسان ✡ علّمه البيان» (٢) وقال سبحانه « اقرأ باسم ربّك الّذي خلق ✡ خلق الانسان من علق ✡ اقرأ وربّك الأكرم ✡ الّذي علّم بالقلم ✡ علّم الانسان مالم يعلم » (٣) ثمّ كلّف ، ووضع التكليف عن المستبهم لعدم العقل والتمييز .

و أمّا وضع الأسماء ، فانّه تبارك وتعالى اختار لنفسه الأسماء الحسنى فسمّى نفسه « الملك القدّوس السّلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر» (٤) و غير ذلك ، و كلّ اسم يسمّى به فلعلّة مّا ، و لمّا تسمّى بالملك أراد تصحيح معنى الاسم لمقتضى الحكمة ، فخلق الخلق و أمرهم ونهاهم ليتحقّق حقيقة الاسم و معنى

---

(١) البقرة : ٣٥ .
(٢) الرحمن : ٢ ـ ٣ . (٤) العلق : ١ ـ ٥ .
(٣) الحشر : ٢٣ .

الملك ،والملك له وجوه أربعة: القدرةوالهيبة والسّطوة والأمر والنّهي فأمّا القدرة فقوله تعالى : « إنّما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » (١) فهذه القدرة التامّة الّتي لا يحتاج صاحبها إلى مباشرة الأشياء ، بل يخترعها كما يشاء سبحانه و لا يحتاج إلى التروّي في خلق الشيء بل إذا أراده صار على ما يريده من تمام الحكمة ، و استقام التدبير له بكلمة واحدة ، و قدرة قاهرة بان بها من خلقه .

ثمّ جعل الأمر والنهي تمام دعائم الملك و نهايته و ذلك أنّ الأمر والنهي يقتضيان الثواب والعقاب والهيبة ، والرجاء والخوف ، و بهما بقاء الخلق ، و بهما يصحّ لهم المدح والذّم ، و يعرف المطيع من العاصي ، و لو لم يكن الأمر والنهي لم يكن للملك بهاء ولا نظام ، و لبطل الثواب والعقاب ، و كذلك جميع التأويل فيما اختاره سبحانه لنفسه من الأسماء .

وقد اعترض على ذلك بأن قيل : قد رأينا أصنافاً من الحيوان لايحصى عددها يبقى و يعيش بغير أمر و لا نهي ، و لا ثواب لها و لا عقاب عليها ، و إذا جاز أن يستقيم بقاء الحيوان المستبهم ، و لا آمر له و لا ناهي ، بطل قولكم : إنّه لابدّ للناطقين من آمرو ناه ، و إلاّ لم يبقوا .

والرّدّ عليهم هو أنّ الله تعالى لمّا خلق الحيوان على ضربين : مستبهم وناطق أطلق للنوع المستبهم أمرين ، جعل قوامه و بقاءه بهما ، و هو إدراك الغذاء و نيله وعرفانهم بالنّافع والضارّ بالشمّ والتنسيم ، وإنّما أنبت عليهم من الوبر والصوف والشعر والريش ليكنّهم من البرد والحرّ ، ومنعهم أمرين النّطق والفهم ، وسخّرهم للحيوان الناطق العاقل و غير العاقل أن يتصرّفوا فيهم ، و عليهم ، كما يختارون ، و يأمرون فيهم و ينهون .

و لم يجعل في النّاطقين معرفة الضارّ من الغذا ، والنافع بالشمّ والتنسيم حتّى أنّ أفهم النّاس و أعقلهم لو جمعت الناس له ضروب الحشايش من النّافع والضارّ والغذا والسمّ لم يميّز ذلك بعقله و فكره ، بل من جهة موقف ، فقد احتاج العاقل

---

(١) النحل : ٤٠ .

الفطن البصير إلى مؤدّب موقف يوقفه على منافعه ، و يعلمه ما يضرّه ، و لما كانت بنية الناس و ما خلقهم الله بهذه الصّفة لابدّ أن يكون عندهم علم كثير من الأغذية الّتي تقوم بها أبدانهم ، لأنّها سبب حياتهم ، وكان البهائم في ذلك أهدى منهم ، ثبت ما أوردناه من الأمر والنهي اللّذين يتبعهما الثواب والعقاب .

قال المعترض : و قد وجدنا بعض البهائم يأكل ما يكون هلاكه فيه من السّمام القاتلة ، فلوكان هذا كما ذكرتم من أنّها تعرف الضارّ من النافع بالشمّ والتنسّم لما أصابهم ذلك .

قيل : هذا الّذي ذكرتم لا يكون على العموم ، و إنّما يكون في الواحد بعد الواحد لعلّة مّا لأنّه ربما اضطرّه الجوع الشّديد إلى أكل ما يكون فيه هلاكه ، أو لاختلاط جميع أنواع الحشايش بعضها ببعض كما أنّا قد نجد الرّجل العاقل قد يقف على مايضرّه من الأطعمة ، ثمّ يأكله إمّا لجوع غالب أو لعلّة يحدث أو سكر يزيل عقله ، أو آفة من الآفات ، فيأكل مايعلم أنّه يسقمه ويضرّه ، و ربّما كان تلف نفسه فيه ، و إذا كان هذا موجوداً في الانسان الفطن العاقل ، فأحرى أن يجوّز مثله في البهائم .

و وجه آخر و هو أنّ الله سبحانه إذا أراد قضاء أجله خلّى بينه و بين الحال الّتي بمثلها يتمّ عليه ذلك ؛ و مثل هذا يعرض دون العادة العامّة ، ولأنّا قد نرى الفراخ من الدّجاج و ما يجري مجراها من أجناس الطّير يخرج من البيضة فتلقى له السّموم من الحبوب القاتلة مثل حبّ البنج والسّناء ، فيحتذر عنه وإذا ألقي عليه غذاؤها بادرت إليه فأكلته و لم يتوقّف عنه ، فبطل الاعتراض .

و لمّا ثبت لنا أنّ قوام الأمّة بالأمر والنّهي الوارد عن الله عزّوجلّ صحّ لنا أنّه لابدّ للنّاس من رسول من عندالله ، فيه صفات يتميّز بها من جميع الخلق منها العصمة من سائر الذّنوب و إظهار المعجزات و بيان الدّلالات لنفي الشبهات طاهر مطهّر متّصل بملكوت الله سبحانه غير منفصل ، لأنّه لا يؤدّي عن الله عزّ و جلّ إلى خلقه إلاّ من كانت هذه صفته ، فصحّ موضع المأمومين الّذين لا عصمة لهم

إلاّ إمام عادل معصوم ، يقيم حدود الله تعالى و أوامره فيهم ، و يجاهد بهم ، ويقسّم غنائمهم ، و لا يستقيم أن يقيم الحدود من في جنبه حدٌّ لله تعالى لأنّ الخبيث لا يطهر بالخبيث ، وإنّما يطهر الخبيث بالطّاهر ، الّذي يدلّ على ما يقرّب من الله تعالى وإنّما يحيون به الحياة الدّنيا في حال معايشهم ، ممّا يكون عاقبته إلى حياة الأبد في الدّار الأخرة ، و لابدّ ممّن هذه صفته في عصر بعد عصر ، و أوان بعد أوان و أمّة بعد أمّة ، جارياً ذلك في الخلق ما داموا ، و دام فرض التكليف عليهم لا يستقيم لهم الأمر ، و لا يدوم لهم الحياة إلاّ بذلك .

ولو كان الامام بصفة المأمومين ، لاحتاج إلى ما احتاجوا إليه ، فيكون حينئذ إماماً ، وليس في عدل الله تعالى وحكمه أن يحتجّ على خلقه بمن هذه صفته ، وإنّما إمام الامام ، الوحي الأمر له والناهي ، فكلّ هذه الصّفات المتفرّقة في الأنبياء فانّ الله سبحانه جمعها في نبيّنا ووجب لذلك بعد مضيّه ﷺ أن يكون في وصيّه ثمّ الأوصياء.

اللهم إلاّ أن يدّعي مدّع أنّ الامامة مستغنية عمّن هذه صفته ، فيكونون بهذه الدّعوى مبطلين ، بما تقدّم من الأدلّة و ثبت أنّه لابدّ من إمام عارف بجميع ما جاء محمّد النبيّ ﷺ من كتاب الله تعالى باقامة المقدّم ذكرها يجيب عنها و عن جميع المشكلات ، و ينفي عن الأمّة مواقع الشبهات ، لا يزلّ في حكمه عارف بدقيق الأشياء و جليلها ، يكون فيه ثمان خصال يتميّز بها عن المأمومين : أربع منها في نعت نفسه و نسبه ، أربع صفات ذاته و حالاته .

فأمّا الّتي في نعت نفسه فانّه ينبغي أن يكون معروف البيت ، معروف النسب منصوصاً عليه من النبيّ ﷺ بأمر من الله سبحانه ، بمثله يبطل دعوى من يدّعي منزلته بغير نصّ من الله سبحانه ورسوله ، حتّى إذا قدم الطالب من البلد القريب والبعيد أشارت إليه الأمّة بالكمال والبيان

و أمّا اللّواتي في صفات ذاته فانّه يجب أن يكون أزهد الناس ، و أعلم الناس ، و أشجع الناس ، و أكرم الناس ، وما يتبع ذلك ، لعلل تقتضيه .

لأنّه إذا لم يكن زاهداً في الدّنيا وزخرفها ، دخل في المحظورات من المعاصي

فاضطرّه ذلك أن يكتم على نفسه ، فمخون الله تعالى في عباده يحتاج إلى من يطهّره باقامة الحدّ عليه ، فهو حينئذ إمام مأموم ، وأمّا إذا لم يكن عالماً بجميع مافرضه الله تعالى في كتابه و غيره ، قلب الفرائض فأحلّ ما حرّم الله ، فضلّ و أضلّ ، و إذا لم يكن أشجع الناس سقط فرض إمامته لأنّه في الحرب فئة للمسلمين فلو فرّ لدخل فيمن قال الله تعالى : « و من يولّهم يومئذ دبره إلاّ متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله » (١) وإذا لم يكن أكرم الناس نفساً دعاه البخل والشحّ إلى أن يمدّ يده فيأخذ فيء المسلمين ، لأنّه خازنهم و أمينهم على جميع أموالهم من الغنائم والخراج والجزية والفيء .

فلهذه العلل يتميّز من سائر الأمّة ، و لم يكن الله ليأمر بطاعة من لا يعرف أوامره ونواهيه ، و لا أن يولّي عليهم الجاهل الّذي لا علم له ، و لا ليجعل الناقص حجّة على الفاضل و لوكان ذلك لجاز لأهل العلل والأسقام أن يأخذوا الأدوية ممّن ليس يعارف منافع الأجساد ، و مضارّها ، فتتلف أنفسهم ، و لو أنّ رجلاً أراد أن يشتري مايصلح به من متاع وغيره ، لكان من حزم الرأي أن يستعين بالتاجر البصير بالتجارة ، فيكون ذلك أحوط عليه .

و إذاكان جميع ذلك لا يصلح في هذه الأشياء الدّنياويّة فأحرى أن يقصد الامام العادل في الأسباب كلّها الّتي يتوصّل بها إلى الأمورالأخرة ، فتميّز بين الامام العادل والجاهل .

و روى عمر بن الخطّاب أنّه اختصم إليه رجلان فحكم لأحدهما على الآخر فقال المحكوم له : بالله لقد حكمت بالحقّ ،فعلاه عمر بدرّته وقال له : ثكلتك أمّك والله ما يدري عمر أصاب ام أخطأ ، وإنّما رأي رأيته . هذا مع ما تقدّمه من قول أبي بكر: ولّيتكم ولست بخيركم ، و إنّ لي شيطاناً يعتريني ، فاذا ملت فقوّموني فاذا غضبت فاجتنبوني لاأمثل في أشعاركم و أبشاركم، فاحتجّ التابعون لهما لأنفسهم بأن قالوا: لنا أسوة بالسلف الماضي ، لمّا عجزوا من تأدية حقائق الأحكام ، فلهذه

(١) الانفال : ١٦ .

العلّة وقعت الاختلاف ، و زال الايتلاف ، لمخالفتهم الله تعالى .

قال الله سبحانه : « يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله و كونوا مع الصادقين » (١) ثمّ جعل للصادقين علامات يعرفون بها ، فقال تعالى : « التّائبون العابدون » (٢) إلى آخره ووصفهم أيضاً فقال سبحانه : « إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون » (٣) إلى آخر الآية في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز ، ولا يصحّ أن يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و يحافظ على حدود الله سبحانه إلاّ العارف بالأمر والنهي ، دون الجاهل بهما .

فأما ماجاء في القرآن من ذكر معايش الخلق وأسبابها فقد أعلمنا سبحانه ذلك من خمسة أوجه : وجه الاشارة ، و وجه العمارة ، و وجه الاجارة و وجه التجارة و وجه الصّدقات .

وأمّا وجه الاشارة فقوله تعالى : « واعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ لله خمسه و للرّسول و لذي القربى واليتامى والمساكين » (٤) الآية فجعل الله لهم خمس الغنائم ، والخمس يخرج من أربعة وجوه من الغنائم الّتي يصيبها المسلمون من المشركين ، و من المعادن ، و من المكنوز ، و من الغوص ، ثمّ جزّء هذه الخمس على ستّة أجزاء فيأخذ الامام عنها سهم الله تعالى و سهم الرّسول و سهم ذي القربى عليهم السّلام ثمّ يقسم الثلاثة سهام الباقية بين يتامى آل محمّد و مساكينهم و أبناء سبيلهم .

ثمّ إنّ للقائم با مور المسلمين بعد ذلك الأنفال الّتي كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله قال الله تعالى : « يسئلونك الأنفال قل الأنفال لله و للرّسول » فحرّفوها وقالوا : « يسألونك عن الأنفال » (٥) وإنّما سألوه الأنفال كلّها ليأخذوها لأنفسهم ، فأجابهم الله تعالى بما تقدّم ذكره ، والدليل على ذلك قوله تعالى : «فاتّقوا الله و أصلحوا

---

(١) براءة : ١١٩ .

(٢) براءة : ١١١ . (٣) براءة : ١١٠ .

(٤) الانفال : ٤١ . (٥) الانفال : ١ .

ذات بينكم و أطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » أي الزموا طاعة الله أن لا تطلبوا ما لا تستحقّونه ، فماكان لله تعالى و لرسوله فهو للامام .

و له نصيب آخر من الفيء والفيء يقسم قسمين ، فمنه ما هو خاصٌّ للامام و هو قول الله عزّوجلّ في سورة الحشر : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فللّه و للرّسول و لذي القربى واليتامى والمساكين وابن السّبيل» (١) وهي البلاد الّتي لا يوجف عليه المسلمون بخيل و لا ركاب .

والضرب الآخر مارجع إليهم ممّا غُصبوا عليه في الأصل قال الله تعالى : « إنّي جاعل في الأرض خليفة » (٢) فكانت الدّنيا بأسرها لآدم عليه السلام إذكان خليفة الله في أرضه ، ثمّ هي للمصطفين الّذين اصطفاهم وعصمهم فكانوا هم الخلفاء في الأرض فلمّا غصبهم الظلمة على الحقّ الّذي جعله الله ورسوله لهم ، وحصل ذلك في أيدي الكفّار صار في أيديهم على سبيل الغصب حتّى بعث الله تعالى رسوله محمّداً صلى الله عليه وآله فرجع له ولأوصيائه ، فماكانوا غصبوا عليه ، أخذوه منهم بالسّيف ، فصار ذلك ممّا أفاء الله به ، أي ممّا أرجعه الله إليهم .

والدّليل على أنّ الفيء هو الراجع قوله تعالى : « للّذين يؤلون من نسائهم تربّص أربعة أشهر فان فاؤا فانّ الله غفور رحيم » (٣) أي رجعوا من الايلاء إلى المناكحة ، و قوله عزّوجلّ : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحديهما على الأخرى فقاتلوا الّتي تبغي حتّى تفيء إلى أمرالله » (٤) أي ترجع و يقال لوقت الصّلاة : فادا فاء الفيء أي رجع الفيء فصلّوا .

و أما وجه العمارة فقوله : « هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » (٥) فأعلمنا سبحانه أنّه قد أمرهم بالعمارة ليكون ذلك سبباً لمعايشهم بما يخرج من الأرض من الحبّ والثمرات ، وما شاكل ذلك ممّا جعله الله تعالى معايش للخلق .

---

(١) الحشر : ٧ . (٢) البقرة : ٣٠ .

(٣) البقرة : ٢٢٦ . (٤) الحجرات : ٩ .

(٥) هود : ٦١ .

و أمّا وجه التّجارة فقوله تعالى : « يا أيّها الّذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمّى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل » (١) إلى آخر الآية فعرّفهم سبحانه كيف يشترون المتاع في السفر والحضر ، وكيف يتّجرون إذكان ذلك من أسباب المعايش .

و أمّا وجه الاجارة فقوله عزّوجلّ : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدّنيا و رفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً و رحمة ربّك خير ممّا يجمعون »(٢) فأخبرنا سبحانه أنّ الاجارة أحد معايش الخلق، إذ خالف بحكمته بين هممهم و إرادتهم ، و سائر حالاتهم ، و جعل ذلك قواماً لمعايش الخلق و هو الرّجل يستأجر الرّجل في صنعته و أعماله و أحكامه و تصرّفاته و أملاكه ولوكان الرّجل منّا مضطرّاً إلى أن يكون بنّاء لنفسه أو نجّاراً أوصانعاً في شيء من جميع أنواع الصنايع لنفسه و يتولّى جميع ما يحتاج إليه من إصلاح الثياب ممّا يحتاج إليه الملك ، فمن دونه ، ما استقامت أحوال العالم بذلك ، و لا اتّسعوا له و لعجزوا عنه ، ولكنّه تبارك و تعالى أتقن تدبيره ، و أبان آثار حكمته لمخالفته بين هممهم و كلّ يطلب ماينصرف إليه همّته ممّا يقوم به بعضهم لبعض ، و ليستعين بعضهم ببعض في أبواب المعايش الّتي بها صلاح أحوالهم .

و أمّا وجه الصّدقات ، فانّما هي لأقوام ليس لهم في الامارة نصيب ، ولا في العمارة حظّ ولا في التجارة مال ، ولافي الاجارة معرفة و قدرة ، ففرض الله تعالى في أموال الأغنياء ماتقوتهم ويقوم بأودهم ، وبيّن سبحانه ذلك في كتابه ، وكان سبب ذلك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا فتح عليه من بلاد العرب ما فتح ، وافت إليه الصدقات منهم فقسمها في أصحابه ممّن فرض الله لهم ، فسخط أهل الجدة من المهاجرين والأنصار ، و أحبّوا أن يقسمها فيهم ، فلمزوه فيما بينهم وعابوه بذلك ، فأنزل الله عزّوجلّ « ومنهم من يلمزك في الصّدقات فان أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها

(١) البقرة : ٢٨٢ .

(٢) الزخرف : ٣٢ .

إذا هم يسخطون ۞ ولو أنّهم رضوا ما آتاهم الله من فضله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنّا إلى الله راغبون» (١) .

ثمّ بيّن سبحانه لمن هذه الصّدقات فقال : «إنّما الصّدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السّبيل »(٢) إلى آخر الآية فأعلمنا سبحانه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يضع شيئاً من الفرائض إلاّ في مواضعها بأمر الله تعالى عزّ وجلّ ، ومقتضى الصّلاح في الكثرة والقلّة .

وأمّا الايمان و الكفر والشرك وزيادته ونقصانه فالايمان بالله تعالى هو أعلى الأعمال درجة ، وأشرفها منزلة، وأسماها حظّاً. فقيل له عليه السلام : الايمان قول وعمل أم قول بلا عمل ؟ فقال: الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللّسان ، وعمل بالأركان وهو عمل كلّه . ومنه التامّ ، ومنه الكامل تمامه ، ومنه النّاقص البيّن نقصانه ، ومنه الزائد البيّن زيادته .

إنّ الله تعالى ما فرض الايمان على جارحة من جوارح الانسان إلاّ وقد وكلت بغير ما وكلت به الأخرى ، فمنه قلبه الّذي يعقل به ، ويفقه ويفهم و يحلّ و يعقد ويريد ، و هو أمير البدن وإمام الجسد الّذي لاتورد الجوارح ولا تصدر إلاّ عن رأيه ، وأمره ونهيه ، ومنها لسانه الّذي ينطق به ، ومنها أذناه اللّتان يسمع بهما ومنها عيناه اللّتان يبصر بهما ، ومنها يداه اللّتان يبطش بهما ، و منها رجلاه اللّتان يسعى بهما ، ومنها فرجه الّذي الباء من قبله ، ومنها رأسه الّذي فيه وجهه .

وليس جارحة من جوارحه إلاّ وهو مخصوصة بفريضة ، فرض على القلب غير مافرض على السّمع، وفرض على السمع غير مافرض على البصر ، وفرض على البصر غير ما فرض على اليدين ، وفرض على اليدين غير مافرض على الرّجلين، وفرض على الرجلين غير مافرض على الفرج، وفرض على الفرج غير مافرض على الوجه ، وفرض على الوجه غير مافرض على اللّسان .

---

(١) براءة : ٥٨ ـ ٥٩ .

(٢) براءة : ٦٠ .

فأمّا مافرض على القلب من الايمان ، فالاقرار والمعرفة والعقد عليه والرّضا بما فرضه عليه ، والتسليم لأمره ، والذّكر والتفكر والانقياد إلى كلّ ماجاء عن الله عزّوجلّ في كتابه مع حصول المعجز .

فيجب عليه اعتقاده وأن يظهر مثل ما أبطن إلاّ للضّرورة كقوله سبحانه : «إلاّ من اُكره وقلبه مطمئنٌّ بالايمان » (١) وقوله تعالى « لايؤاخذكم الله باللّغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم » (٢) وقال سبحانه « الّذين قالوا آمنّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم» (٣) وقوله تعالى «ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب» (٤) وقوله سبحانه « و يتفكّرون في خلق السّموات و الأرض ربنّا ما خلقت هذا باطلاً » (٥) وقوله تعالى « أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها » (٦) و قال عزّوجلّ «فانّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الّتي في الصدور» (٧) ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى وهو رأس الايمان .

وأمّا مافرضه الله على اللّسان فقوله عزّوجلّ في معنى التفسير لماعقد به القلب و أقرّ به أو جحده فقوله تعالى « قولوا آمنّا بالله وما اُنزل إلينا و ما اُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب » (٨) الآية وقوله سبحانه « قولوا للنّاس حسناً وأقيموا الصّلوة وآتوا الزكوة » (٩) وقوله سبحانه « ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيراً لكم إنّما هو إله واحد » (١٠) فأمر سبحانه بقول الحقّ و نهى عن قول الباطل .

و أمّا ما فرضه على الأذنين ، فالاستماع لذكر الله والانصات إلى ما يتلى من كتابه ، وترك الاصغاء إلى مايسخطه ، فقال سبحانه : « وإذا قريء القرآن فاستمعوا له و أنصتوا لعلّكم ترحمون » (١١) وقال تعالى : « وقد نزّل عليكم في الكتاب

---

(١) النحل : ١٠٦ .
(٢) البقرة : ٢٢٥ .
(٣) الرعد : ٣٠ .
(٤) القتال : ٢٤ .
(٥) البقرة : ١٣٦ .
(٦) النساء : ١٧٩ .
(٧) المائدة : ٤١ .
(٨) آل عمران : ١٩١ .
(٩) الحج : ٤٦ .
(١٠) البقرة : ٨٣ .
(١١) الاعراف : ٢٠٤ .

أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها و يستهزىء بها فلا تقعدوا معهم حتّى يخوضوا في حديث غيره » (١) الآية .

ثمّ استثنى برحمته لموضع النسيان فقال : « و إمّا ينسينّك الشّيطان فلاتقعد بعد الذكرى مع القوم الظّالمين » (٢) وقال عزّوجلّ : « فبشّر عباد ۞ الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الّذين هديهم الله و أولئك هم أولوا الألباب » (٣) و قال تعالى : « و إذا سمعوا اللّغو أعرضوا عنه و قالوا لنا أعمالنا و لكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين » (٤) وفي كتاب الله تعالى ما معناه معنى ما فرض الله سبحانه على السّمع والايمان .

و أمّا ما فرضه على العينين فمنه النظر إلى آيات الله تعالى ، وغضّ البصر عن محارم الله ، قال الله تعالى : « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت ؟ و إلى السماء كيف رفعت ؟ و إلى الجبال كيف نصبت ؟ و إلى الأرض كيف سطحت ؟ » (٥) وقال تعالى : « أولم ينظروا في ملكوت السّموات والأرض و ما خلق الله من شيء » (٦) و قال سبحانه : « انظروا إلى ثمره إذا أثمر و ينعه » (٧) و قال : « فمن أبصر فلنفسه و من عمي فعليها » (٨) .

و هذه الآية جامعة لإبصار العيون ، و إبصار القلوب ، قال الله تعالى : « فانّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الّتي في الصّدور » (٩) و منه قوله تعالى : « قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم » (١٠) معناه لا ينظر أحدكم إلى فرج أخيه المؤمن أو يمكّنه من النظر إلى فرجه ، ثمّ

---

(١) النساء : ١٣٤ .
(٢) الانعام : ٦٨ .
(٣) الزمر : ١٨ .
(٤) القصص : ٥٥ .
(٥) الغاشية : ١٦ ـ ١٩ .
(٦) الاعراف : ١٨٥ .
(٧) الانعام : ٩٩ .
(٨) الانعام : ١٠٤ .
(٩) الحج : ٤٦ .
(١٠) النور : ٣١ ـ ٣٠ .

قال سبحانه : « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهنّ ويحفظن فروجهنّ » أي ممّن يلحقهن النظر كما جاء في حفظ الفرج ، والنّظر سبب إيقاع الفعل من الزّنا وغيره.

ثمّ نظم تعالى ما فرض على السّمع والبصر والفرج في آية واحدة فقال: « وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم و لا أبصاركم و لا جلودكم ولكن ظننتم أنّ الله لايعلم كثيراً ممّا تعملون » (١) يعني بالجلود ههنا الفروج ، وقال تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم إنّ السّمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسئولاً » (٢) فهذا ما فرض الله تعالى على العينين من تأمّل الآيات ، والغضّ عن تأمّل المنكرات و هو من الايمان .

و أمّا ما فرض سبحانه على اليدين فالطّهور و هو قوله : « يا أيّها الّذين آمنوا إذا قمتم إلى الصّلوة فاغسلوا وجوهكم و أيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم و أرجلكم إلى الكعبين » (٣) و فرض على اليدين الإنفاق في سبيل الله تعالى فقال: « أنفقوا من طيّبات ما كسبتم و ممّا أخرجنا لكم من الأرض » (٤) .

و فرض تعالى على اليدين الجهاد لأنّه من عملها و علاجها ، فقال : « فاذا لقيتم الّذين كفروا فضرب الرقاب حتّى إذا أثخنتموهم فشدّوا الوثاق » (٥) و ذلك كلّه من الايمان .

و أمّا ما فرضه الله على الرّجلين فالسّعي بهما فيما يرضيه ، واجتناب السّعي فيما يسخطه ، و ذلك قوله سبحانه : « فاسعوا إلى ذكر الله و ذروا البيع » (٦) و قوله سبحانه : « ولاتمش في الأرض مرحاً » (٧) وقوله : « واقصد في مشيك واغضض من صوتك » (٨) وفرض الله عليهما القيام في الصّلاة ، فقال: « و قوموا لله قانتين » (٩) .

---

(١) فصلت : ٢٢ .　　(٢) أسرى : ٣٦ .
(٣) المائدة : ٦ .　　(٤) البقرة : ٢٦٧ .
(٥) القتال : ٤ .　　(٦) الجمعة : ٩ .
(٧) لقمان : ١٨ .　　(٨) لقمان : ١٩ .
(٩) البقرة : ٢٣٨ .

ثمّ أخبر أنّ الرّجلين من الجوارح الّتي تشهد يوم القيام حتّى يستنطق بقوله : « اليوم نختم على أفواههم و تكلّمنا أيديهم و تشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » (١) وهذا ممّا فرضه الله تعالى على الرّجلين في كتابه و هو من الايمان .

و أما ما افترضه على الرأس فهو أن يمسح من مقدّمه بالماء في وقت الطّهور للصّلاة بقوله : « وامسحوا برؤسكم » (٢) و هو من الايمان ، و فرض على الوجه الغسل بالماء عند الطهور ، و قال : « يا أيّها الّذين آمنوا إذا قمتم إلى الصّلوة فاغسلوا وجوهكم» (٣) وفرض عليه السّجود ، وعلى اليدين والرّكبتين والرجلين الركوع و هو من الايمان .

و قال فيما فرض على هذه الجوارح من الطّهور والصلاة و سمّاه في كتابه إيماناً حين تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، فقال المسلمون : يا رسول الله ذهبت صلاتنا إلى بيت المقدس و طهورنا ضياعاً ؟ فأنزل الله تعالى « و ماجعلنا القبلة الّتي كنت عليها إلاّ لنعلم من يتّبع الرّسول ممّن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلاّ على الّذين هدى الله و ماكان الله ليضيع إيمانكم إنّ الله بالنّاس لرؤف رحيم » (٤) فسمّى الصّلاة والطهور إيماناً .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من لقي الله كامل الايمان كان من أهل الجنّة ، ومن كان مضيّعاً لشيء ممّا فرضه الله تعالى في هذه الجوارح و تعدّى ما أمره الله وارتكب ما نهاه عنه ، لقي الله تعالى ناقص الايمان ، قال الله عزّ وجلّ : « وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه إيماناً فأمّا الّذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون » (٥) و قال : « إنّما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً و على ربّهم يتوكّلون » (٦) وقال سبحانه : « إنّهم

---

(١) يس : ٦٥ .
(٢ـ٣) المائدة : ٦ .
(٤) البقرة : ١٤٣ .
(٥) براءة : ١٢٤ و١٢٥ . (٦) الانفال : ٢ .

فتية آمنوا بربّهم و زدناهم هدى » (١) وقال : « والّذين اهتدوا زادهم هدى و آتاهم تقويهم » (٢) و قال : « هوالّذي أنزل السّكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم » (٣) الاية .

فلوكان الايمان كلّه واحداً لا زيادة فيه ولانقصان ، لم يكن لأحد فضل على أحد ، ولتساوى النـاس ، فبتمام الايمان و كمـا له دخل المؤمنون الجنّة ، ونالوا الدّرجات فيها ، و بذهابه و نقصانه دخل الاٰخرون النار .

و كذلك السّبق إلى الايمان قال الله تعالى : « والسّابقون السّابقون اُولئك المقرّبون» (٤) وقال سبحانه : «والسّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار» (٥) و ثلّث بالتابعين ، و قال عزّوجلّ : « تلك الرّسل فضّلنـا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله و رفع بعضهم درجات و آتينا عيسى بن مريم البيّنات و أيّدنـاه بروح القدس » (٦) و قال : « ولقد فضّلنا بعض النبيّين على بعض و آتينا داود زبوراً » (٧) و قال : « انظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض و للاٰخرة أكبر درجـات و أكبر تفضيلا » (٨) و قال : « هم درجات عندالله والله بصيرٌ بما يعملون » (٩) و قال سبحانه : « ويؤت كلّ ذي فضل فضله» (١٠) وقال : «الّذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عندالله » (١١) وقال تعالى : « لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح و قاتل اُولئك أعظم درجة من الّذيـن أنفقوا من بعد و قاتلوا و كلاّ وعدالله الحسنى» (١٢) وقال : « فضّل الله المجاهدين على القاعدين

---

(١) الكهف : ١٣ .　　(٢) القتال : ١٧ .
(٣) الفتح : ٤ .　　(٤) الواقعة : ١٠ و ١١ .
(٥) براءة : ١٠٠ وبعده : والذين اتبعوهم باحسان » .
(٦) البقرة : ٢٥٣.　　(٧) أسرى : ٥٥ .
(٨) أسرى : ٢١ .　　(٩) آل‌عمران : ١٦٣ .
(١٠) هود : ٣ .　　(١١) براءة : ٢٠ .
(١٢) الحديد : ١٠ .

أجراً عظيماً ☆ درجات منه و مغفرة و رحمة » (١) و قال : « ذلك بأنّهم لا يصيبهم ظمأ و لا نصب و لا مخمصة في سبيل الله و لا يطؤن موطئاً يغيظ الكفّار و لا ينالون من عدوّ نيلاً إلاّ كتب لهم به عمل صالح » (٢) .

فهذه درجات الايمان و منازلها عندالله سبحانه ، و لن يؤمن بالله إلاّ من آمن برسوله و حججه في أرضه قال الله تعالى : « من يطع الرّسول فقد أطاع الله » (٣) و ماكان الله عزّوجلّ ليجعل لجوارح الانسان إماماً في جسده ينفي عنها الشكوك و يثبّت لها اليقين ، و هو القلب ، و يهمل ذلك في الحجج ، و هو قوله تعالى : « فللّه الحجّة البالغة فلو شاء لهديكم أجمعين » (٤) و قال : « لئلاّ يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل » (٥) و قال تعالى : « أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير » (٦) و قال سبحانه : « و جعلنا منهم أئمّة يدعون بأمرنا لمّا صبروا » (٧) الآية .

ثمّ فرض على الأمّة طاعة ولاة أمره ، القوّام لدينه ، كما فرض عليهم طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : « أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول و اُولي الأمر منكم » (٨) ثمّ بيّن محلّ ولاة أمره من أهل العلم بتأويل كتابه ، فقال عزّوجلّ : « ولو ردّوه إلى الرسول وإلى اُولي الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم » (٩) وعجز كلّ أحد من النّاس عن معرفة تأويل كتابه غيرهم ، لأنّهم هم الراسخون في العلم المأمونون على تأويل التنزيل ، قال الله تعالى : « وما يعلم تأويله إلاّ الله والرّاسخون في العلم » (١٠) إلى آخر الآية وقال سبحانه : « بل هو آيات بيّنات في صدور الّذين

---

(١) النساء : ٩٦ .
(٢) براءة : ١٢٠ .
(٣) النساء : ٨٠ .
(٤) الانعام : ١٤٩ .
(٥) النساء : ١٦٥ .
(٦) المائدة : ١٩ .
(٧) السجدة : ٢٤ .
(٨) النساء : ٥٩ .
(٩) النساء : ٨٣ .
(١٠) آل عمران : ٧ .

أُوتوا العلم » (١) .

و طلب العلم أفضل من العبادة قال الله عزّ وجلّ : « إنّما يخشى الله من عباده العلماء » (٢) « الّذين لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون » (٣) و بالعلم استحقّوا عند الله اسم الصدق ، و سمّاهم به صادقين ، و فرض طاعتهم على جميع العباد بقوله : « يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله و كونوا مَعَ الصّادقين » (٤) فجعلهم أولياءه ، و جعل ولايتهم ولايته ، و حزبهم حزبه فقال : « و من يتولّ الله و رسوله والّذين آمنوا فانّ حزب الله هم الغالبون » (٥) و قال : « إنّما وليّكم الله و رسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلوة و يؤتون الزّكوة و هم راكعون » (٦) .

واعلموا رحمكم الله أنّما هلكت هذه الأُمّة وارتدّت على أعقابها بعد نبيّها صلّى الله عليه و آله ، بركوبها طريق من خلا من الأُمم الماضية ، والقرون السّالفة الّذين آثروا عبادة الأوثان على طاعة أولياء الله عزّ وجلّ ، و تقديمهم من يجهل على من يعلم ، فعنّفها الله تعالى بقوله : « هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون إنّما يتذكّر أُولوا الألباب » (٧) و قال في الّذين استولوا على تراث رسول الله صلّى الله عليه و آله بغير حقّ من بعد وفاته : « أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلاّ أن يهدى فمالكم كيف تحكمُون » (٨) .

فلو جاز للأُمّة الايتمام بمن لا يعلم ، أو بمن يجهل ، لم يقل إبراهيم عليه السلام لأبيه : « لم تعبد مالا يبصر و لا يغني عنك شيئاً » (٩) فالنّاس أتباع من اتّبعوه من أئمّة الحقّ و أئمّة الباطل ، قال الله عزّ وجلّ : « يوم ندعوا كلّ أُناس بامامهم فمن أُوتي كتابه بيمينه فأُولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلاً » (١٠) فمن ائتمّ

---

(١) العنكبوت : ٤٩ .
(٢) فاطر : ٢٨ . (٣) التحريم : ٦ .
(٤) براءة : ١١٩ . (٥-٦) المائدة : ٥٦ و٥٥ .
(٧) الزمر : ٩ . (٨) يونس : ٣٥ .
(٩) مريم : ٤٢ . (١٠) أسرى : ٧١ .

بالصّادقين حشر معهم ، قال رسول الله ﷺ : المرء مع من أحبّ ، قال إبراهيم عليه السلام : « فمن تبعني فانّه منّي » (١) .

و أصل الايمان العلم ، وقد جعل الله تعالى له أهلاً ندب إلى طاعتهم ومسئلتهم فقال: « فاسئلوا أهل الذّكر إن كنتم لاتعلمون » (٢) وقال جلّت عظمته : « وأتوا البيوت من أبوابها» (٣) والبيوت في هذا الموضع اللاّتي عظّم الله بناءها بقوله : « في بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه » (٤) ثمّ بيّن معناها لكيلا يظنّ أهل الجاهليّة أنّها بيوت مبنيّة فقال تعالى : « رجال لاتلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله » (٥) فمن طلب العلم في هذه الجهة أدركه ، قال رسول الله ﷺ : أنا مدينة العلم و في موضع أنا مدينة الحكمة و عليٌّ بابها ، فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها وكلّ هذا منصوص في كتابه تعالى إلاّ أنّ له أهلاً يعلمون تأويله .

فمن عدل عنهم إلى الّذين ينتحلون ما ليس لهم ، و يتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وهو تأويله بلا برهان و لا دليل و لا هدى ، هلك وأهلك وخسرت صفقته ، و ضلّ سعيه « يوم تبرّأ الّذين اتّبعوا من الّذين اتّبعوا و رأوا العذاب و تقطّعت بهم الأسباب » (٦) وإنّما هوحقٌّ وباطل ، و إيمان و كفر ، وعلم و جهل ، و سعادة و شقوة ، و جنّة و نار ، لن يجتمع الحقّ والباطل في قلب امرء قال الله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » (٧) .

وإنّما هلك الناس حين ساووا بين أئمّة الهدى ، وبين أئمّة الكفر ، و قالوا : إنّ الطّاعة مفروضة لكلّ من قام مقام النّبيّ برّاً كان أوفاجراً ، فأتوا من قبل ذلك (٨) .

---

(١) ابراهيم : ٣٦ .
(٢) النحل : ٤٣ .
(٣) البقرة : ١٨٩
(٤) النور : ٣٥ .
(٥) النور : ٣٧ .
(٦) البقرة : ١٦٦ .
(٧) الاحزاب : ٤ ، راجعه .
(٨) أى أتى هلاكهم من قبل ذلك يقال : اتى ـ كعنى ـ فلان من مأمنه اذا جاءه الهلاك من جهة أمنه .

قال الله سبحانه : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين ✿ مالكم كيف تحكمون» (١)

و قال الله تعالى : « هل يستوي الأعمى والبصير أم هل يستوي الظلمات والنّور» (٢)

و قال فيمن سمّوهم من أئمّة الكفر بأسماء أئمّة الهدى ممّن غصب أهل الحقّ ما جعله الله لهم ، و فيمن أعان أئمّة الضّلال على ظلمهم : « إن هي إلاّ أسماء سمّيتموها أنتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان» (٣).

فأخبرهم الله سبحانه بعظيم افترائهم على جملة أهل الايمان بقوله تعالى : « إنّما يفتري الكذب الّذين لا يؤمنون بآيات الله » (٤) و قوله تعالى : « و من أضل ممّن اتّبع هواه بغير هدى من الله » (٥) و بقوله سبحانه : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون » (٦) و قوله تعالى : « أفمن كان على بيّنة من ربّه كمن هو أعمى » (٧) .

فبيّن الله عزّ وجلّ بين الحقّ والباطل في كثير من آيات القرآن ، ولم يجعل للعباد عذراً في مخالفة أمره بعد البيّنات والبرهان ، ولم يتركهم في لبس من أمرهم ولقد ركب القوم من الظلم والكفر في اختلافهم بعد نبيّهم وتفريقهم الاُمّة ، وتشتيت أمر المسلمين واعتدائهم على أوصياء رسول الله ﷺ بعد أن تبيّن لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية بالمخالفة ، فاتّبعوا أهواءهم ، وتركوا ما أمرهم الله به و رسوله ، قال تعالى : « و ما تفرّق الّذين اُوتوا الكتاب إلاّ من بعد ما جائتهم البيّنة » (٨) .

---

(١) القلم : ٣٥ . (٢) الرعد : ١٦ .

(٣) النجم : ٢٣ . (٤) النحل : ١٠٥

(٥) القصص : ٥٠ . (٦) السجدة : ١٨ .

(٧) صدر الاية فى سورة القتال : ١٤ ونصها « أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهوائهم » وذيله فى سورة الرعد : ١٩ ، ونصها « افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر اولوا الالباب » والظاهر أن ما بينهما سقط من النسخ .

(٨) البينة : ٤ .

ثمّ أبان فضل المؤمنين فقال سبحانه : « إنّ الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات أُولئك هم خير البريّة» (١) ثمّ وصف ما أعدّه من كرامته تعالى لهم ، وما أعدّه لمن أشرك به ، و خالف أمره و عصى وليّه ، من النقمة والعذاب ، ففرّق بين صفات المهتدين و صفات المعتدين ، فجعل ذلك مسطوراً في كثير من آيات كتابه و لهذه العلّة قال الله تعالى : « أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها » (٢) .

فترى من هو الامام الّذي يستحقّ هذه الصّفة من الله عزّوجلّ ، المفروض على الأُمّة طاعته ؟ من لم يشرك بالله تعالى طرفة عين ، و لم يعصه في دقيقة ولاجليلة قطّ ؟ أم من أنفد عمره و أكثر أيّامه في عبادة الأوثان ، ثمّ أظهر الايمان و أبطن النّفاق ؟ و هل من صفة الحكيم أن يطهّر الخبيث بالخبيث ، و يقيم الحدود على الأُمّة من في جنبه الحدود الكثيرة ، و هو سبحانه يقول : « أتامرون النّاس بالبرّ و تنسون أنفسكم و أنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » (٣) .

أولم يأمر الله عزّوجلّ نبيّه صلى الله عليه وآله بتبليغ ما عهده إليه في وصيّه ، و إظهار إمامته و ولايته « يا أيّها الرّسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس » (٤) فبلّغ رسول الله صلى الله عليه وآله ما قد سمع .

واعلم أنّ الشياطين اجتمعوا إلى إبليس فقالوا له : ألم تكن أخبرتنا أنّ محمّداً إذا مضى نكثت أُمّته عهده و نقضت سنّته ، وأنّ الكتاب الّذي جاء به يشهد بذلك و هو قوله : « و ما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرّسل أفان مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم » (٥) فكيف يتمّ هذا و قد نصب لأُمّته علماً ، و أقام لهم إماماً ؟ فقال لهم إبليس : لاتجزعوا من هذا ، فانّ أُمّته ينقضون عهده ، ويغدرون بوصيّه من بعده ، و يظلمون أهل بيته ، و يهملون ذلك لغلبة حبّ الدّنيا على قلوبهم ، و تمكّن الحميّة والضغائن في نفوسهم ، واستكبارهم و عزّهم ، فأنزل الله

---

(١) البينة : ٧ . (٢) القتال : ٢٤.

(٣) البقرة : ٤٤ . (٤) المائدة : ٦٧.

(٥) آل عمران : ١٤٤ .

تعالى « و لقد صدّق عليهم إبليس ظنّه فاتّبعوه إلاّ فريقاً من المؤمنين » (١) .

و أمّا الكفر المذكور في كتاب الله تعالى فخمسة وجوه : منها كفر الجحود و منها كفر فقط ، والجحود ينقسم على وجهين ، و منها كفر الترك لما أمر الله تعالى به ، و منه كفر البراءة ، و منها كفر النّعيم .

فأمّا كفر الجحود فأحد الوجهين منه جحود الوحدانيّة ، و هو قول من يقول: لا ربّ و لا جنّة و لا نار و لا بعث و لا نشور ، و هؤلاء صنف من الزّنا دقة و صنف من الدّهريّة الّذين يقولون : « و ما يهلكنا إلاّ الدّهر » و ذلك رأي وضعوه لأنفسهم ، استحسنوه بغير حجّة ، فقال الله تعالى : « إن هم إلاّ يظنّون » (٢) و قال : « إنّ الّذين كفروا سواء عليهم ء أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » (٣) أي لا يؤمنون بتوحيد الله .

والوجه الآخر من الجحود هو الجحود مع المعرفة بحقيقته ، قال تعالى : « و جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً و علوّاً » (٤) و قال سبحانه : « وكانوا من قبل يستفتحون على الّذين كفروا فلمّا جائهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » (٥) أي جحدوه بعد أن عرفوه .

و أمّا الوجه الثالث من الكفر ، فهو كفر الترك لما أمرهم الله به ، و هو من المعاصي قال الله سبحانه : « و إذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دمائكم و لا تخرجون أنفسكم من ديار كم ثمّ أقررتم وأنتم تشهدون ـ إلى قوله ـ أفتؤمنون ببعض الكتاب و تكفرون ببعض » (٦) فكانوا كفّاراً لتر كهم ما أمر الله تعالى به ، فنسبهم إلى الايمان باقرارهم بألسنتهم على الظاهر دون الباطن ، فلم ينفعهم ذلك لقوله تعالى : « فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاّ خزي في الحيوة الدّنيا» (٧) إلى آخر الآية .

---

(١) سبأ : ٢٠ .

(٢) البقرة : ٧٨ . (٣) البقرة : ٦ .

(٤) النمل : ١٤ . (٥) البقرة : ٨٩ .

(٦ ـ ٧) البقرة : ٨٥-٨٤ .

و أمّا الوجه الرابع من الكفر، فهو ماحكاه تعالى من قول إبراهيم عليه السلام : « كفرنا بكم وبدا بيننا و بينكم العداوة والبغضاء أبداً حتّى تؤمنوا بالله وحده » (١) فقوله : « كفرنا بكم » أي تبرّأنا منكم ، و قال سبحانه في قصّة إبليس و تبرّئه من أوليائه من الانس يوم القيامة : « إنّي كفرت بما أشركتمون من قبل » (٢) أي تبرّأت منكم ، و قوله تعالى : « إنّما اتّخذتم من دون الله أوثاناً مودّة بينكم في الحيوة الدّنيا ـ إلى قوله ـ ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً » (٣) الآية .

و أمّا الوجه الخامس من الكفر و هو كفر النعم ، قال الله تعالى عن قول سليمان عليه السلام : « هذا من فضل ربّي ليبلوني أأشكر أم أكفر » (٤) الآية وقوله عزّ وجلّ : « لئن شكرتم لأزيدنّكم و لئن كفرتم إنّ عذابي لشديد » (٥) و قال تعالى : « فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون » (٦).

فأمّا ما جاء من ذكر الشرك في كتاب الله تعالى فمن أربعة أوجه قوله تعالى : « لقد كفر الّذين قالوا إنّ الله هو المسيح بن مريم و قال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربّي و ربّكم إنّه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنّة و مأويه النار و ما للظالمين من أنصار » (٧) فهذا شرك القول والوصف .

و أمّا الوجه الثاني من الشّرك فهو شرك الأعمال قال الله تعالى : « ومايؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون » (٨) وقوله سبحانه : « اتّخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله » (٩) على أنّهم لم يصوموا لهم و لم يصلّوا ، ولكنّهم أمروهم و نهوهم فأطاعوهم ، وقد حرّموا عليهم حلالاً وأحلّوا لهم حراماً ، فعبدوهم من

---

(١) الممتحنة : ٤ .
(٢) ابراهيم : ٢٢ .
(٣) العنكبوت : ٢٥ .
(٤) النمل : ٤٠ .
(٥) ابراهيم : ٧.
(٦) البقرة : ١٥٢ .
(٧) المائدة : ٧٢ .
(٨) يوسف : ١٠٦ .
(٩) براءة : ٣١ .

حيث لا يعلمون ، فهذا شرك الأعمال والطّاعات .

و أما الوجه الثالث من الشرك شرك الزنا قال الله تعالى : « و شاركهم في الأموال والأولاد » (١) فمن أطاع ناطقاً فقد عبده ، فان كان النـاطق ينطق عن الله تعالى فقد عبدالله ، و إن كان ينطق عن غير الله تعالى فقد عبد غير الله .

و أما الوجه الرابع من الشرك فهو شرك الرّيا قال الله تعالى : « فمن كان يرجوا لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربّه أحداً » (٢) فهؤلاء صاموا وصلّوا واستعملوا أنفسهم بأعمال أهل الخير إلاّ أنّهم يريدون به رئاء النّاس فأشركوا لمـا أتوه من الرّياء ، فهذه جملة وجوه الشرك في كتاب الله تعالى .

و أما ما ذكر من الظّلم في كتابه فوجوه شتّى فمنها ما حكاه الله تعالى عن قول لقمان لابنه : « يا بنيّ لاتشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم » (٣) و من الظلم مظالم الناس فيما بينهم من معاملات الدّنيا ، و هي شتّى قال الله تعالى : « ولوترى إذ الظّالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون » (٤) الآية .

فأما الردّ على من أنكر زيادة الكفر فمن ذلك قول الله عزّوجلّ في كتابه : « إنّما النّسيء زيادة في الكفر » (٥) و قوله تعالى : « فأمّا الّذين في قلوبهم مرض فزادهم رجساً إلى رجسهم و ماتوا و هم كافرون » (٦) و قوله : « إنّ الّذين آمنوا ثمّ كفروا ثمّ آمنوا ثمّ كفروا ثمّ ازدادوا كفراً » الآية (٧) وغيرذلك في كتاب الله .

وأمّا مافرضه سبحانه من الفرائض في كتابه فدعائم الاسلام وهي خمس دعائم و على هذه الفرائض الخمسة بني الاسلام ، فجعل سبحانه لكلّ فريضة من هذه الفرائض أربعة حدود، لايسع أحداً جهلها : أوّلها الصّلاة ، ثمّ الزّكاة ، ثمّ الصّيام

---

(١) أسرى : ٦٤ .　　(٢) الكهف : ١١٠ .
(٣) لقمان : ١٣ .　　(٤) الانعام : ٩٣ .
(٥) براءة : ٣٧ .　　(٦) براءة : ١٢٥ .
(٧) النساء : ١٣٧ .

ثمّ الحجّ ، ثمّ الولاية و هي خاتمتها ، والحافظة لجميع الفرائض والسنن .

فحدود الصّلاة أربعة : معرفة الوقت ، والتوجّه إلى القبلة ، والرّكوع والسّجود، وهذه عوامّ في جميع الناس ، العالم والجاهل ، ومايتّصل بها من جميع أفعال الصّلاة والأذان والإقامة و غير ذلك ، و لمّا علم الله سبحانه أنّ العباد لا يستطيعون أن يؤدّوا هذه الحدود كلّها على حقائقها جعل فيها فرائض ، و هي الأربعة المذكورة ، وجعل مافيها من هذه الأربعة من القراءة والدّعاء والتسبيح والتكبير والأذان والإقامة وماشاكل ذلك سنّة واجبة ، من أحبّها يعمل بها إعمالا فهذا ذكر حدود الصّلاة .

وأما حدود الزّكاة فأربعة أوّلها معرفة الوقت الّذي يجب فيه الزكاة ، والثّاني القسمة ، والثّالث الموضع الّذي توضع فيه الزكاة ، والرّابع القدر ، فأما معرفة العدد والقسمة ، فانّه يجب على الانسان أن يعلم كم يجب من الزكاة في الأموال الّتي فرضها الله تعالى من الابل والبقر والغنم والذّهب والفضّة والحنطة والشعير والتمر والزّبيب ، فيجب أن يعرف كم يخرج من العدد والقسمة (١) و يتبعهما الكيل والوزن والمساحة فماكان من العدد ، فهو من باب الابل والبقر والغنم ، و أمّا المساحة فمن باب الأرضين والمياه ، و ماكان من المكيل فمن باب الحبوب الّتي هي أقوات النّاس في كلّ بلد ، و أما الوزن فمن الذّهب والفضة و سائر ما يوزن من أبواب مبلغ التجارات ممّا لا يدخل في العدد ولا الكيل ، فاذا عرف الانسان ما يجب عليه في هذه الأشياء ، و عرف الوضع و توضّع فيه كان مؤدّيا للزّكاة على ما فرض الله تعالى .

و أمّا حدود الصّيام فأربعة حدود أوّلها اجتناب الأكل والشرب ، والثّاني

---

(١) في نسخة ابن قولويه « معرفة العدد والقيمة » كمامر في ج ٦٨ ص ٣٨٧ ـ ٣٩١ و قال المؤلف العلامة في بيانه : وكأن ذكر القيمة لانه قد يجوز أداء القيمة بدل العين وذكر المساحة لانه قد يضمن العامل حصة الفقراء بعد الخرص قبل الحصاد ، فيحتاج الى المساحة .

اجتناب النكاح ، والثالث اجتناب القيء متعمداً، والرابع ، اجتناب الاغتماس في الماء و ما يتصل بها ، و ما يجري مجراها من السنن كلها .

و أمّا حدود الحجّ فأربعة و هي الاحرام ، والطواف بالبيت ، والسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف في الموقفين ، وما يتبعهما ويتصل بها فمن ترك هذه الحدود وجب عليه الكفّارة والاعادة .

وأمّا حدود الوضوء للصلاة فغسل اليدين والوجه والمسح على الرأس وعلى الرّجلين و ما يتعلّق ويتصل بها سنّة واجبة على من عرفها ، وقدر على فعلها .

و أمّا حدود الامام المستحقّ للامامة فمنها أن يعلم الامام المتولّي عليه أنّه معصوم من الذّنوب كلّها صغيرها و كبيرها ، لا يزلّ في الفتيا و لايخطيء في الجواب و لا يسهو و لا يُنسى ، و لا يلهو بشيء من أمر الدّنيا .

والثاني أن يكون أعلم الناس بحلال الله و حرامه ، وضروب أحكامه وأمره و نهيه ، و جميع ما يحتاج إليه الناس ، فيحتاج الناس إليه و يستغني عنهم .

والثالث يجب أن يكون أشجع النّاس لأنّه فئة المؤمنين الّتي يرجعون إليها إن انهزم من الزّحف انهزم الناس بانهزامه .

والرابع يجب أن يكون أسخى الناس وإن بخل أهل الأرض كلّهم لأنّه إن استولى الشحّ عليه شحّ على ما في يديه من أموال المسلمين .

والخامس العصمة من جميع الذّنوب ، و بذلك يتميّز من المأمومين الّذينهم غيرمعصومين ، لأنّه لو لم يكن معصوماً لم يؤمن عليه أن يدخل فيما يدخل فيه النّاس من موبقات الذّنوب المهلكات ، والشّهوات واللذّات ، ولو دخل في هذه الأشياء لاحتاج إلى من يقيم عليه الحدود ، فيكون حينئذ إماماً مأموماً ، ولايجوز أن يكون الامام بهذه الصفة .

وأمّا وجوب كونه أعلم الناس فانّه لولم يكن عالماً لم يؤمن أن يقلب الأحكام والحدود ، ويختلف عليه القضايا المشكلة فلايجيب عنها بخلافها ، أمّا وجوب كونه أشجع النّاس فيماقدّمناه ، لأنّه لايصحّ أن ينهزم فيبوء بغضب من الله تعالى وهذه

لا يصحّ أن يكون صفة الامام ، و أمّا وجوب كونه أسخى النّاس فيما قدّمناه و ذلك لا يليق بالامام .

و قد جعل الله تعالى لهذه الأربعة فرائض دليلين أبان لنا بهما المشكلات وهما الشمس والقمر : أي النبيّ و وصيّه بلا فصل .

و أمّا الزّجر في كتاب الله عزّوجلّ فهو مانهى الله سبحانه ووعد العقاب لمن خالفه مثل قوله تعالى « و لا تقربوا الزنى إنّه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً » (١) وقوله تعالى « ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالّتي هي أحسن » (٢) وقوله سبحانه « ولا تأكلوا الرّبوا أضعافاً مضاعفة » (٣) وقوله « ولا تقتلوا النّفس الّتي حرّم الله إلاّ بالحقّ » (٤) ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى .

وأمّا ترغيب العباد في كتاب الله تعالى « و من اللّيل فتهجّد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً (٥) و قوله « من عمل صالحاً من ذكر أو اُنثى و هو مؤمن فاُولئك يدخلون الجنّة يرزقون فيها بغير حساب » (٦) و قوله « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ✡ ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره » (٧) وقوله « ياأيّها الّذين آمنوا هل أدلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ✡ تؤمنون بالله ورسوله » (٨) الآية وقوله « إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفّر عنكم سيّئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً » (٩) وأمثال ذلك كثير في كتاب الله تعالى .

أمّا الترهيب في كتاب الله فقوله سبحانه « ياأيّها النّاس اتّقوا ربّكم إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم » إلى قوله « ولكنّ عذاب الله شديد » (١٠) وقوله عزّوجلّ « واتّقوا

---

(١) أسرى : ٣٢ .
(٢) الانعام : ١٥٢ . أسرى : ٣٤ .
(٣) آل عمران : ١٣٠ .
(٤) أسرى : ٣٣ ، الانعام : ١٥١ .
(٥) أسرى : ٧٩ .
(٦) غافر : ٤٠ .
(٧) الزلال : ٧ـ٨ .
(٨) الصف : ١ .
(٩) النساء : ٣١ .
(١٠) الحج : ١ .

يوماً ترجعون فيه إلى الله ثمّ توفّى كلّ نفس ما كسبت وهم لا يظلمون» (١) وقوله تعالى «يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله ربّكم واخشوا يوماً لا تجزي والد عن ولده ولا مولود هو جازعن والده شيئاً (٢) إلى آخر الآية وقوله تعالى «إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين» (٣) الآية.

أمّا الجدال ومعانيه في كتاب الله تعالى «وإنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون ۞ يجادلونك في الحقّ بعدما تبيّن كأنّما يساقون إلى الموت وهم ينظرون» (٤) ولما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر كان خروجه في طلب العدوّ، وقال لأصحابه: إنّ الله عزّ وجلّ قد وعدني أن أظفر بالعير أو بقريش، فخرجوا معه على هذا فلمّا أقبلت العير وأمره الله بقتال قريش أخبر أصحابه فقال: إنّ قريشاً قد أقبلت وقد وعدني الله سبحانه إحدى الطائفتين أنّها لكم وأمرني بقتال قريش.

قال: فجزعوا من ذلك وقالوا: يا رسول الله فانّا لم نخرج على أهبة الحرب قال: وأكثر قوم منهم الكلام والجدال، فأنزل الله تعالى «وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنّها لكم وتودّون أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم - إلى قوله - ويقطع دابر الكافرين» (٥) وكقوله سبحانه «قد سمع الله قول الّتي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله» (٦) وقوله سبحانه «وجادلهم بالّتي هي أحسن» (٧) ومثل هذا [كثير في كتاب الله تعالى.

وأمّا] الاحتجاج على الملحدين وأصناف المشركين مثل قوله حكاية عن قول إبراهيم عليه السلام «ألم تر إلى الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه أن آتيه الله الملك» (٨) إلى آخر الآية وقوله سبحانه عن الأنبياء في مجادلتهم لقومهم في سورة الأعراف وغيرها، وقوله تعالى حكاية عن قوم نوح عليه السلام: «يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا

(١) البقرة: ٢٨١.
(٢) لقمان: ٣٣.
(٣) غافر: ٦٠.
(٤) الانفال: ٤ و٥.
(٥) الانفال: ٦.
(٦) المجادلة: ١.
(٧) النحل: ١٢٥.
(٨) البقرة: ٢٥٨.

إن كنت من الصّادقين » (١) ومثل هذا كثير موجود في مجادلة الأمم للأنبياء .

و أمّا ما في كتاب الله تعالى من القصص عن الأمم فانّه ينقسم على ثلاثة أقسام فمنه ما مضى ، ومنه ماكان في عصره ، ومنه ما أخبر الله تعالى به أنّه يكون بعده .

فأمّا مامضى فماحكاه الله تعالى فقال : « نحن نقصّ عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن » (٢) ومنه قول موسى لشعيب « فلمّا جاءه و قصّ عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظّالمين » (٣) و منه ما أنزل الله من ذكر شرائع الأنبياء و قصصهم وقصص اُممهم ، حكايةً عن آدم إلى نبيّنا صلّى الله عليه وآله وعليهم أجمعين .

و أمّا الّذي كان في عصر النّبي صلى الله عليه وآله فمنه ما أنزل الله تعالى في مغازيه وأصحابه وتوبيخهم ومدح من مدح منهم ، وذمّ من ذمّ منهم ، وماكان من خيروشرّ وقصّة كلّ فريق منهم، مثل ماقصّ من قصّة غزاة بدر، واُحد، وخيبر، وحنين، وغيرها من المواطن و الحروب ، و مباهلة النّصارى ، و محاربة اليهود ، و غيره ، ممّا لو شرح لطال ابه الكتاب .

وأمّا قصص ما يكون بعده فهو كلّ ما حدث بعده ممّا أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله به وما لم يخبر، والقيامة وأشراطها ، ومايكون من الثواب والعقاب ، وأشباه ذلك .

و أما ما في كتاب الله تعالى من ضرب الأمثال فمثل قوله تعالى « ضرب الله مثلاً كلمة طيّبة كشجرة طيّبة » (٤) إلى آخر الاٰية ، وقوله تعالى « مثل ماينفقون في هذه الحيوة الدّنيا كمثل ريح فيها صرٌّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم » (٥) الاٰية و كقوله « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح » (٦) إلى آخر الاٰية ، و إنّما ضرب الله سبحانه هذه الأمثال للنّاس في كتابه ليعتبروا بها ، ويستبدلوا بها ما أراده منهم من الطاعة وهو كثير في كتابه تعالى .

---

(١) هود : ٣٢ .
(٢) يوسف : ٣ .
(٣) القصص : ٢٥ .
(٤) ابراهيم : ٢٤ .
(٥) آل‌عمران : ١١٧ .
(٦) النور : ٣٥ .

و أمّا ما في كتابه تعالى في معنى التنزيل والتأويل فمنه ما تأويله في تنزيله ومنه ما تأويله قبل تنزيله ومنه ما تأويله مع تنزيله ، ومنه ما تأويله بعد تنزيله .

فأمّا الّذي تأويله في تنزيله فهو كلّ آية محكمة نزلت في تحريم شيء من الأمور المتعارفة الّتي كانت في أيّام العرب ، تأويلها في تنزيلها فليس يحتاج فيها إلى تفسير أكثر من تأويلها و ذلك قوله تعالى في التحريم « حرّمت عليكم أمّهاتكم و بناتكم وأخواتكم » (١) الأية وقوله « إنّما حرّم عليكم الميتة و الدّم ولحم الخنزير» (٢) الأية وقوله تعالى «ياأيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وذروا مابقي من الربوا -إلى قوله- وأحلّ الله البيع وحرّم الرّبوا »(٣) وقوله تعالى «قل تعالوا أتل ماحرّم ربّكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئاً - إلى قوله - لعلّكم تذكّرون » (٤) و مثل ذلك في القرآن كثير ممّا حرّم الله سبحانه ، لا يحتاج المستمع إلى مسئلة عنه .

و قوله عزّ وجلّ في معنى التحليل : « أحلّ لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيّارة (٥)وقوله سبحانه « وإذا حللتم فاصطادوا»(٦) وقوله تعالى «يسئلونك ماذا أحلّ لهم قل أحلّ لكم الطيّبات و ما علّمتم من الجوارح مكلّبين تعلّمونهنّ ممّا علّمكم الله » (٧) الأية و قوله تعالى « و طعامكم حلّ لهم » (٨) و قوله تعالى « يا أيّها الّذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلّت لكم بهيمة الأنعام إلاّ ما يتلى عليكم غير محلّي الصيّد وأنتم حرم » (٩) وقوله تعالى: «أحلّ لكم ليلة الصيام الرّفث إلى نسائكم » (١٠) و قوله تبارك و تعالى « يا أيّها الّذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات

(١) النساء : ٢٣.
(٢) النحل : ١١٥ .
(٣) البقرة : ٢٧٥ .
(٤) الانعام : ١٥١ .
(٥) المائدة : ٩٦ .
(٦) المائدة : ٢ .
(٧) المائدة :٤ .
(٨) المائدة : ٥ .
(٩) المائدة : ١ .
(١٠) البقرة : ١٨٧ .

ما أحلّ الله لكم » (١) ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى .

و أمّا الّذي تأويله قبل تنزيله فمثل قوله تعالى في الأمور الّتي حدثت في عصر رسول الله ﷺ مما لم يكن الله أنزل فيها حكماً مشروحاً ، و لم يكن عند النبيّ ﷺ فيها شيء ، ولاعرف ما وجب فيها ، مثل ذلك من اليهود من بني قريظة والنضير ، وذلك أنّ رسول الله ﷺ لمّا هاجر إلى المدينة كان بها ثلاث بطون من اليهود من بني هارون منهم بنوقريظة ، وبنو النضير ، وبنوالقينقاع فلمّا دخلت الأوس و الخزرج في الاسلام ، جاءت اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمّد قد أحببنا أن نهادنك إلى أن نرى ما يصير إليه أمرك ، فأجابهم رسول الله ﷺ تكرّماً و كتب لهم كتاباً أنّه قدهادنهم وأقرّهم على دينهم لايتعرّض لهم وأصحابهم بأذيّة ، وضمّنوهم عن نفوسهم أنّهم لا يكيدونه بوجه من الوجوه ، ولا لأحد من أصحابه .

وكانت الأوس حلفاء بني قريظة ، والخزرج حلفاء بني النضير ، وبنو النضير أكثر عدداً من بني القريظة و أكثر أموالاً ، و كانت عدّتهم ألف مقاتل ، و كانت عدد بني قريظة مائة مقاتل ، و كان إذا وقع بينهم قتل لم يرض بنوالنضير أن يكون قتلٌ بقتيل ، بل يقولون نحن أشرف وأكثروأقوى وأعزّ .

ثمّ اتّفقوا بعد ذلك أن يكتبوا بينهم كتاباً شرطوا فيه : أيّما رجل من بني النضير قتل رجلاً من بني قريظة دفع نصف الدّية ، وحمم وجهه ـ و معنى حمم وجهه سخم وجهه بالسواد ـ ومعناه حمم بالفحم ـ ويقعد على حمار ويحوّل وجهه إلى ذنب الحمار ، ونودي عليه في الحيّ وأيّما رجل من بني قريظة قتل رجلاً من بني النضير كان عليه الدّية الكاملة ، و قتل القاتل مع رفع الدّية .

فلمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، و دخل الأوس والخزرج في دين الاسلام ، وثب رجل من بني قريظة على رجل من بني النضير فبعث بنو النضير إلى بني قريظة ابعثوالنا بقاتل صاحبنا لنقتله ، وابعثوا إلينا بالدّية. فامتنعوا من ذلك وقالوا : ليس هذا حكم الله في التوراة وإنّما هذا حكم ابتدعتموه و ليس لكم علينا

(١) المائدة : ٨٧ .

إلاّ الدية أو القتل ، فان رضيتم بذلك و إلاّ بيننا و بينكم محمد نتحاكم إليه جميعاً .

قال : فبعث بنو النضير إلى عبدالله بن اُبيّ بن سلول وكان رأس المنافقين فقالوا: قد علمت ما بيننا من الحلف والموادعة ، وقد كنّا لكم يا معاشر الأنصار من الخزرج أنصاراً على من آذاكم و قد امتنعت علينا بنو قريظة بما شرطناه عليهم ، و دعوناه إلى حكم محمد وقد رضينا به ، فاسأله أن لا ينقض شرطنا فقال لهم عبدالله بن اُبيّ ابن سلول : ابعثوا إليّ رجلاً منكم ليحضر كلامي و كلام محمد فان علمتم أنّه يحكم لكم و يقرّكم على ما كنتم عليه ، فارضوا به ، و إن لم يفعل فلا ترضوه لحكمه .

و جاء عبدالله بن اُبيّ بن سلول إلى رسول الله ﷺ و معه رجل من اليهود فقال : يا رسول الله إنّ هؤلاء اليهود لهم العدد والعدّة والمنعة وقد كانوا كتب بينهم كتاب شرط اتّفقوا عليه فيما بينهم ، و رضوا جميعاً به ، و هم صائرون إليك فلا تنقض عليهم شرطهم ، فاغتمّ من كلامه و لم يجبه و دخل ﷺ منزله .

فأنزل الله عليه « يا أيّها الرّسول لا يحزنك الّذين يسارعون في الكفر من الّذين قالوا آمنّا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم » (١) يعني تعالى عبدالله بن اُبيّ بن سلول ثمّ قال سبحانه : « ومن الّذين هادوا سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين » يعني به الرّجل اليهودي الّذي وافى مع عبدالله بن اُبيّ بن سلول ليسمع ما يقول رسول الله ﷺ من الجواب لعبدالله ، و قال : « لم يأتوك يحرّفون الكلم عن مواضعه يقولون إن اُوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً اُولئك الّذين لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم لهم في الدّنيا خزي و لهم في الآخرة عذاب عظيم » إلى قوله تعالى : «فلن يضرّوك شيئاً» .

وجعل سبحانه الأمر إلى رسوله إن شاء أن يحكم حكم بينهم ، وإن شاء أعرض عنهم ، ثمّ قال تعالى : « وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إنّ الله يحبّ المقسطين ۞ و كيف يحكّمونك و عندهم التورية فيها حكم الله ثمّ يتولّون من بعد ذلك و ما اُولئك بالمؤمنين ۞ إنّا أنزلنا التورية فيها هدىً و نور يحكم بها النبيّون الّذين

(١) المائدة : ٤١ .

أسلموا للّذين هادوا والربّانيّون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون و لا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ☆ و كتبنا عليهم فيها أنّ النّفس بالنّفس والعين بالعين والأذن بالأذن والسنّ بالسنّ والجروح قصاص فمن تصدّق به فهو كفّارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظّالمون ☆ و قفّينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدّقاً لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل » (١) .

[ومثل ذلك الظهار] في كتاب الله تعالى فانّ العرب كانت إذا ظاهر رجل منهم امرأته حرمت عليه إلى آخر الأبد ، فلمّا هاجر رسول الله ﷺ كان بالمدينة رجل من الأنصار يقال له : أوس بن الصّامت وكان أوّل رجل ظاهر في الاسلام وكان كبير السّنّ به ضعف فجرى بينه و بين أهله كلام ، و كانت امرأته يسمّى خولة بنت ثعلبة الأنصاريّة فقال لها أوس : أنت عليّ كظهر أمّي ، ثمّ إنّه ندم على ماكان منه ، و قال : ويحك إنّا كنّا في الجاهليّة نحرّم علينا الأزواج في مثل هذا من قبل الاسلام ، فلوأتيت رسول الله ﷺ تسأله عن ذلك .

فجاءت خولة بنت ثعلبة إلى رسول الله فقالت : يا رسول الله زوجي ظاهر منّي و هو أبو أولادي و ابن عمّي قدكان هذا الظهار في الجاهليّة يحرّم الزوجات على الأزواج أبداً ، فقال لها : ماأظنّك إلاّ أن حرمت عليه إلى آخر الأبد فجزعت جزعاً شديداً وبكت ثمّ قامت فرفعت يديها إلى السماء وقالت : إلى الله أشكو فراق زوجي ، فرحمها أهل البيت ، و بكوا لبكائها ، فأنزل الله على نبيّه « قد سمع الله قول الّتي تجادلك في زوجها و تشتكي إلى الله والله يسمع تحاور كما إنّ الله سميع بصير » إلى قوله : « والّذين يظاهرون من نسائهم ثمّ يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسّا ذلكم يوعظ به والله بما تعملون خبير ☆ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فاطعام ستّين مسكيناً »(٢) فقال لها رسول الله ﷺ : قولي لأوس بن الصّامت زوجك يعتق نسمة ، فقالت : يا رسول الله و أنّى له نسمة

(١) المائدة : ٤١ ـ ٤٥ . (٢) المجادلة : ١ـ٤ .

لاوالله ماله خادم غيري ، قال: فيصوم شهرين متتابعين قالت : إنّه شيخ كبير لايقدر على الصيام ، قال : فمريه أن يتصدّق على ستّين مسكيناً قالت : و أنّى له الصّدقة فوالله ما بين لا بتيها أحوج منّا ، قال : فقولي فليمض إلى اُمّ المنذر فليأخذ منها شطر وسق تمر، فليتصدّق على ستّين مسكيناً ، قال : فعادت إلى أوس، فقال لها : ما وراك ؟ قالت : خير وأنت ذميم، إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أن تمضي إلى اُمّ المنذر فتأخذ منها وسق تمر فلتصدّق به على ستّين مسكيناً .

ومثل ذلك في اللعان : إنّ رسول الله ﷺ لمّا رجع من غزاة تبوك قام إليه عويمر بن الحارث العجلاني فقال : يا رسول الله إنّ امرأتي زنت بشريك بن السّمخاط فأعرض عنه فأعاد عليه القول فأعرض عنه ، فأعاد ثالثة فقام ﷺ ودخل، فنزل اللّعان فخرج إليه فقال : ائتني بأهلك فقد أنزل الله فيكما قرآناً، فمضى وأتى بأهله وأتى معها قومها وكانت في شرف من الأنصار .

فوافوا رسول الله ﷺ وهو يصلّي العصر، فلمّا فرغ أقبل عليهما وقال لهما : تقدّما إلى المنبر فلاعنا ، فتقدّم عويمر إلى المنبر فتلا عليهما رسول الله ﷺ آية اللّعان (١) « والّذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلاّ أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنّه لمن الصّادقين»....(٢) فيما رماها به ، فقال لها رسول الله ﷺ :

---

(١) النور : ٦ .

(٢) هناك قد سقط نحو أسطر ، نورد مايشبه الروايه آخذاً من تفسير القمى ص ٤٥٢ تتميماً للمراد :

فقال عويمر : أشهد بالله أنى لمن الصادقين فيما رميتها به ، قالها أربع مرات وقال فى الخامسة : ان لعنةالله على ان كنت من الكاذبين فيما رميتها به وهو قول الله « والخامسة أن لعنةالله عليه ان كان من الكاذبين » ثم قال رسول الله : ان اللعنة لموجبة ان كنت كاذباً ثم قال : تنح فتنحى ثم قال لزوجته تشهدين كما شهد والا أقمت عليك حدالله ، فنظرت فى وجوه قومها و قالت : لاأسود هذه الوجوه فى هذه العشية ، فتقدمت الى المنبر و قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله « ويدرء عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين * والخامسة أن لعنةالله عليها ان كان من الكاذبين» فيما رماها به الخ .

و العني نفسك بالخامسة فشهدت ، و قالت في الخامسة أنّ غضب الله عليها إن كان من الصّادقين فيما رماني به ، فقال لهما رسول الله ﷺ : اذهبا ولن يحلّ لك ، ولن تحلّي له أبداً .

فقال عويمر: يا رسول الله فالّذي أعطيتها؟ فقال له : إن كنت صادقاً فهو لها بما استحللته من فرجها ، و إن كنت كاذباً فهو أبعد لك منه ، و فرّق بينهما .

و مثله أنّ قوماً من أصحاب رسول الله ﷺ ترهّبوا و حرّموا أنفسهم من طيّبات الدّنيا ، و حلفوا على ذلك أنّهم لا يرجعون إلى ماكانوا عليه أبداً ، و لا يدخلون فيه بعد وقتهم ذلك ، منهم عثمان بن مظعون ، و سلمان و تمام عشرة من المهاجرين والأنصار ، فأمّا عثمان بن مظعون فحرّم على نفسه النساء ، والآخر حرّم الافطار بالنّهار إلى غير ذلك من مشاقّ التكليف .

فجاءت امرأة عثمان بن مظعون إلى بيت أمّ سلمة فقالت لها : لم عطّلت نفسك من الطيب والصّبغ والخضاب وغيره ؟ فقالت: لأنّ عثمان بن مظعون زوجي ما قربني مذ كذا و كذا ، قالت أمّ سلمة : ولم ذا ؟ قالت : لأنّه قد حرّم على نفسه النساء وترهّب ، فأخبرت أمّ سلمة رسول الله ﷺ بذلك و خرج إلى أصحابه و قال : أترغبون عن النساء؟ إنّي آتي النساء ، و أفطر بالنّهار ، وأنام الليل ، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي ، و أنزل الله تعالى « يا أيّها الّذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لكم و لا تعتدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين ۞ وكلوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيّباً ،واتّقوا الله الذي أنتم به مؤمنون » (١) .

فقالوا: يارسول الله إنّا قد حلفنا على ذلك ، فأنزل الله عزّ وجلّ « لايؤاخذكم الله باللّغو في أيمانكم » إلى قوله : « ذلك كفّارة أيمانكم إذا حلفتم فاحفظوا أيمانكم » (٢) .

و مثله أنّ قوما من الأنصار كانوا يعرفون ببني أبيرق وكانوا منافقين قد

---

(١) المائدة : ٨٧ ـ ٨٨ .

(٢) المائده : ٨٩ .

أظهروا الاسلام و أسرّوا النفاق ، وهم ثلاثة إخوة ، يقال لهم : بشر و مبشّر و بشير وكان بشر يكنّى أبا طعمة ، وكان رجلاً حشيثاً شاعراً قال : فنقبوا على رجل من الأنصار يقال له : رفاعة بن زيد بن عامر ، وكان عمّ قتادة بن النعمان الأنصاري وكان قتادة ممّن شهد بدراً ، فأخذوا طعاماً كان قد أعدّه لعياله وسيفاً ودرعا .

فقال رفاعة لابن أخيه قتادة : إنّ بني أبيرق قد فعلوا بي كذا ، فلمّا بلغ بني أبيرق ذلك جاؤا إليهما و قالوا لهما : إنّ هذا من عمل لبيد بن سهل ، وكان لبيد بن سهل رجلاً صالحاً شجاعاً بطلاً إلاّ أنّه فقير لا مال له ، فبلغ لبيداً قولهم فأخذ سيفه و خرج إليهم فقال لهم : يا بني أبيرق أترموني بالسّرقه ، و أنتم أولى به منّي ، والله لتبيّننّ ذلك أو لأمكّننّ سيفي منكم ، فلايزالوا يلاطفونه حتّى رجع عنهم و قالوا له : أنت بريء من هذا .

فجاء قتادة بن النعمان إلى رسول الله ﷺ فقال له : بأبي أنت و أمّي إنّ أهل بيت منّا نقبوا على عمّي وأخذوا له كذا و كذا ، وهم أهل بيت سوء و ذكرهم بقبيح فبلغ ذلك بني أبيرق فمشوا إلى رسول الله ﷺ و معهم رجل من بني عمّهم يقال له : أشتر بن عروة (١) وكان رجلاً فصيحاً خطيباً فقال : يارسول الله إنّ قتادة بن النعمان عمد إلى أهل بيت منّا لهم حسب و نسب و صلاح ، فرماهم بالسّرق و ذكرهم بالقبيح و قال فيهم غير الواجب ، قال رسول الله ﷺ : إن كان ما قلته حقّاً فبئس ما صنع .

فاغتمّ قتادة من ذلك و رجع إلى عمّه فقال : ياليتني متّ و لم أكن كلّمت رسول الله ﷺ في هذا ، فأنزل الله تعالى : « إنّا أنزلنا إليك الكتاب لتحكم بين الناس بما أريك الله ولاتكن للخائنين خصيماً ۞ واستغفر الله إنّ الله كان غفوراً رحيماً ۞ و لا تجادل عن الّذين يختانون أنفسهم إنّ الله لا يحبّ من كان خوّاناً أثيماً » إلى قوله : « وكان فضل الله عليك عظيماً » (٢) .

و مثله أنّ قريشاً كانوا إذا حجّوا وقفوا بالمزدلفة ، و لم يقفوا بعرفات

---

(١) اسيد بن عروة . (٢) النساء : ١٠٥ - ١٠٨ .

وكان تلبيتهم إذا أحرموا في الجاهليّة «لبّيك اللّهمّ لبّيك لبّيك لاشريك لك لبّيك إنّ الحمد والنّعمة لك» فجاءهم إبليس في صورة شيخ وقال لهم : ليس هذا تلبية أسلافكم قالوا : كيف كانت تلبية أسلافنا ؟ فقال : كانت اللّهمّ لبّيك لبّيك إنّ الحمد والنعمة لك ، والملك لك لا شريك لك إلاّ شريكاً هو لك .

فنفرت قريش من قوله ، فقال : لا تنفروا من قولي و على رسلكم حتّى آتي آخر كلامي ، فقالوا له : قل ، فقال : إلاّ شريك لك هو لك ، تملكه وما ملك . ألا ترون أنّه تملك الشريك والشريك لا يملكه ، فرضيت قريش بذلك فلمّا بعث الله سبحانه رسوله ﷺ نهاهم عن ذلك ، وقال: إنّ هذا شريك، فقالوا: ليس بشريك لأنّه لا يملكه وما ملك ، فأنزل الله سبحانه « ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم ممّا ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء » (١) إلى آخر الآية فأعلمهم أنّهم لا يرضون بهذا فكيف ينسبون إلى الله .

ومثله حديث تميم الداريّ مع ابن مندي و ابن أبي مارية وماكان من خبرهم في السّفر ، وكانا رجلين نصرانيّين وتميم الداريّ رجل من رؤوس المسلمين (٢) خرجوا في سفر لهم ، وكان مع تميم الداريّ خُرج له فيه متاع وآنية منقوشة بالذّهب ، و قلادة من ذهب أخرج معه ليبيعه في بعض أسواق العرب ، فلمّا فصلوا عن المدينة اعتلّ تميم علّة شديدة فلمّا حضرته الوفاة ، دفع جميع ما كان معه إلى ابن مندى و ابن أبي مارية و أمرهما أن يوصلاه إلى أهله و ذرّيته .

---

(١) الروم : ٢٨ .

(٢) كذافى تفسيرالقمى ص ١٧٧ ، و نقله فى الكافى ج ٧ ص٥ ، و فى سائرالجوامع أن عدى بن بداء و تميماً الدارى كانا نصرانيين و ابن أبى مارية و هو بديل بن أبى مريم (مارية) كان مسلماً وكان مولى عمرو بن العاص ، راجع تفسير مجمع البيان ج ٣ ص ٢٥٦ و ٢٥٩ . الدر المنثور ج ٢ ص ٣٤٣ ، وهكذا فى الاصابة ج ١ ص ١٤٥ فى ترجمة بديل ابن أبى مريم . ج ١ ص ١٨٦ ، فى ترجمة تميم الدارى . ج ٢ ص ٤٦٠ فى ترجمة عدى بن بداء ، و ذكره أبو داود فى سننه ج ٢ ص ٢٧٦ باب شهادة أهل الذمة .

فلمّا قدما إلى المدينة أخذا المتاع والأنية والقلادة ، فسألوهما هل مرض صاحبنا مرضاً طويلاً أنفق نفقة واسعة ؟ قالا : ما مرض إلاّ أيّاماً قلائل ، قالوا : فهل سرقت منه شيء من متاعه في سفره هذا؟ قالا : لا ،لم يسرق منه شيء قالوا : فهل اتّجر معكما في سفره تجارة خسر فيها ؟ قالا : لم يتّجر في شيء، قالوا : فانّا افتقدنا أفضل شيء كان معه آنية منقوشة بالذّهب ، وقلادة من ذهب ، فقالا: أما الّذي دفعه إلينا فقد أدّيناه إليكم، فقدّموهما إلى رسول الله ﷺ فأوجب عليهما اليمين ، فحلفا وخلّى سبيلهما .

ثمّ إنّ تلك الأنية والقلادة ظهرت عليهما ، فجاء أولياء تميم إلى رسول الله فأخبروه ، فأنزل الله عزّ وجلّ « يا أيّها الّذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصيّة اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت » (١) فأطلق سبحانه شهادة أهل الكتاب على الوصيّة فقط إذا كان ذلك في السّفر ، و لم يجدوا أحداً من المسلمين عند حضور الموت .

ثمّ قال تعالى: «تحبسونهما من بعد الصّلوة» يعني صلاة العصر (٢) فيقسمان بالله أنّهما أحقّ بذلك يعني تعالى يحلفان بالله أنّهما أحقّ بهذه الدّعوى منهما، فانّهما كذبا فيما حلفا و «لشهادتنا أحقّ من شهادتهما وما اعتدينا إنّا إذاً لمن الظالمين» .

فأمر رسول الله ﷺ أولياءهم أن يحلفوا بالله على ما ادّعوه ، فحلفوا ، فلمّا حلفوا أخذ رسول الله ﷺ الأنية والقلادة من ابن مندي وابن أبي مارية و ردّهما إلى أولياء تميم .

---

(١) المائدة : ١٠٦ - ١٠٧ .

(٢) قد سقط من هناك نحو ما يلي: «ان ارتبتم لا نشترى به ثمناً قليلا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذاً لمن الاثمين» فهذه الشهادة الاولى التى حلفهما رسول الله (ص) ثم قال عزوجل «فان عثر على أنهما استحقا اثماً» أى حلفا على كذب « فآخران يقومان مقامهما » يعنى من أولياء المدعى «من الذين استحق عليهم الاوليان» الاولين «فيقسمان بالله» أنهما أحق بذلك الخ .

ثمّ قال الله عزّوجلّ : « ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن تردّ أيمان بعد أيمانهم واتّقوا الله واسمعوا » .

و منه الحديث في أمر عائشة ، و ما رماها به عبد الله بن أُبيّ بن سلول و حسّان بن ثابت و مسطح بن أثاثة فأنزل الله تعالى « إنّ الّذين جاؤا بالافك عصبة منكم لاتحسبوه خيراً لكم بل هو شرٌّ لكم » (١) الآية فكلّ ماكان من هذا وشبهه في كتاب الله تعالى فهو تأويله قبل تنزيله و مثله في القرآن كثير في مواضع شتّى .

و أمّا ما تأويله بعد تنزيله فهي الأُمور الّتي أخبرالله عزّوجلّ رسوله صلى الله عليه وآله أنّها ستكون بعده ، مثل ماأخبر به من أُمورالقاسطين والمارقين والخوارج، وقتل عمّارجرى ذلك المجرى، وأخبارالسّاعة والرّجعة وصفات القيامة، مثل قوله تعالى : « هل ينظرون إلاّ تأويله يوم يأتي تأويله لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » (٢) و قوله تعالى : « يوم يأتي تأويله يقول الّذين نسوه من قبل قد جائت رسل ربّنا بالحقّ فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نردّ فنعمل غير الّذي كنّا نعمل » (٣) الآية و قوله سبحانه : « و لقد كتبنا في الزّبور من بعد الذّكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصّالحون » (٤) وقوله تعالى : « ونريد أن نمنّ على الّذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمّة و نجعلهم الوارثين ☆ و نمكّن لهم في الأرض و نري فرعون و هامان و جنودهما منهم ماكانوا يحذرون » (٥) و قوله عزّوجلّ : « وعدالله الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما

(١) النور : ١١ . والاية فى المصحف والقراءات المشهورة التى عرفناها «لاتحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم » .

(٢) هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك ، أو يأتى بعض ايات ربك يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفساً» الاية فى سورة الانعام : ١٥٨ .

(٣) الاعراف : ٥٣ و صدرها : «هل ينظرون الاتأويله يوم يأتى تأويله » الاية وقد اختلط بالاية السابقة .

(٤) الانبياء : ١٠٥ . (٥) القصص : ٥ ـ ٦ .

استخلف الّذين من قبلهم وليمكّننّ لهم دينهم الّذي ارتضى لهم » (١) إلى آخر الآية و قوله : « الم غلبت الرّوم في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين » (٢) فنزلت هذه و لم يكن غلبت ، و غلبت بعد ذلك .

ومثله « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنّ في الأرض مرّتين » (٣) فهذه الآيات و أشباهها نزلت قبل تأويلها ، و كلّ ذلك تأويله بعد تنزيله .

[وأمّا ماتأويله مع تنزيله فمثل] (٤) قوله تعالى : «ياأيّها الّذين آمنوا اتّقوا ركونوا مع الصّادقين» (٥) فيحتاج من سمع هذا التنزيل عن رسول الله ﷺ أن يعرف هؤلاء الصّادقين الّذين أمروا بالكينونة معهم ، و يجب على الرّسول أن يدلّ عليهم ، و يجب على الأمّة حينئذ امتثال الأمر ، و مثله قوله تعالى : « أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول و أولي الأمر منكم » (٦) فلم يستغن الناس في هذا المعنى بالتنزيل دون التّفسير كما استغنوا بالآيات المتقدّمة الّتي ذكرت في آيات ماتأويله في تنزيله اللاّتي ذكرناها في الآيات المتقدّمة [إلاّ] حين بيّن لهم رسول الله ﷺ أنّ الولاة للأمر الّذي فرض الله طاعتهم من عترته المنصوص عليهم .

ومثله قوله تعالى : « وأقيموا الصّلوة وآتوا الزّكوة»(٧) فلم يستغن الناس عن بيان ذلك من رسول الله ﷺ و حدود الصّلاة كيف يصلّونها و عددها و ركوعها و سجودها ومواقيتها وما يتّصل بها ، و كذلك الزكاة والصوم و فرائض الحجّ وسائر الفرائض، إنّما أنزلها الله وأمر بها في كتابه مجملة غير مشروحة للناس في معنى التنزيل وكان رسول الله ﷺ هو المفسّر لها والمعلّم للأمّة كيف يؤدّونها ، و بهذه الطريقة وجب عليه ﷺ تعريف الأمّة الصادقين عن الله عزّوجلّ ، « والشجرة الملعونة في

(١) النور : ٥٥ . (٢) الروم : ١-٢ .

(٣) أسرى : ٤ :

(٤) زيادة أضفناها طبقا لمامرفى ص ٦٨ س ٢ نقلا من تفسير القمى ص ١٢ .

(٥) براءة ، ١١٩ . (٦) النساء : ٥٩ .

(٧) البقرة : ٤٣ ، وآيات اخر .

القرآن و نحوّفهم فما يزيدهم إلاّ طغياناً كبيراً » (١) .

ومثله قوله سبحانه في سورة التوبة : « و منهم الّذين يؤذون النّبيّ و يقولون هو اُذن قل اُذن خير لكم » (٢) و مثله قوله تعالى : « و منهم من يقول ائذن لي و لا تفتنّي ألا في الفتنة سقطوا و إنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين » (٣) و مثله قوله عزّوجلّ : « ومن أهل المدينة مردوا على النّفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم » (٤) ومثل قوله عزّوجلّ : « لا تتولّوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الاٰخرة كما يئس الكفّارمن أصحاب القبور » (٥) .

فوجب على الاُمّة أن يعرفوا هؤلاء المنزّل فيهم هذه الاٰيات من هم ؟ ومن غضب الله عليهم ليعرفوا بأسمائهم حتّى يتبرّؤا منهم ولا يتولّوهم قال الله تعالى : « و جعلناهم أئمّة يدعون إلى النار و يوم القيمة لاينصرون » (٦) و مثل ذلك كثير في كتاب الله تعالى من الأمر بطاعة الأصفياء ونعتهم ، والتبرّي ممّن خالفهم، وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا وجب عليه ، و لم يمض من الدّنيا حتّى بيّن للاُمّة حال الأولياء من اُولي الأمر ، و نصّ عليهم و أخذ البيعة على الاُمّة بالسّمع لهم والطّاعة ، و أبان لهم أيضاً أسماء من نهاهم عن ولايتهم ، فما أقلّ من أطاع في ذلك و ما أكثر من عصى فيه ، ومال إلى الدّنيا و زخرفها ، فالويل لهم .

و أمّا ما أنزل الله تعالى في كتابه ممّا تأويله حكاية في نفس تنزيله ، وشرح معناه ، فمن ذلك قصّة أهل الكهف ، وذلك أنّ قريشاً بعثوا ثلاثة نفر نضر بن حارث ابن كلدة ، وعقبة بن أبي معيط ، وعاص بن وائل إلى رث(٧) والي نجران ليتعلّموا من اليهود والنصارى مسائل يلقونها على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال لهم علماء اليهود و النّصارى : سلوه عن مسائل فان أجابكم عنها فهو النبيّ المنتظر الّذي أخبرت

---

(١) اسرى : ٦٠ .
(٢) براءة : ٦١ .
(٣) براءة : ٤٩ .
(٤) براءة : ١٠١ .
(٥) الممتحنة : ١٣ .
(٦) القصص : ٤١ .
(٧) كذا .

به التوراة ثمّ تسألوه عن مسألة أُخرى فان ادّعى علمها فهو كاذب ، لأنّه لا يعلم علمها غير الله ، فقالوا : و مـا هذه الثلاث مسائل ؟ قالوا : سلوه عن فتية كانوا في الزّمن الأوّل غابوا ثمّ ناموا كم مقدار ما ناموا إلى أن انتبهوا ؟ و كم كان عددهم؟ و لما انتبهوا ما الّذي صنعوا و صنعه قومهم ؟ و كم لهم من حيث انتبهوا إلى يومنا هذا ؟ و ماكانت قصّتهم ؟ وسلوه عن موسى بن عمران كيف كان حاله مع العالم حين اتّبعه وفارقه ، وسلوه عن طائف طاف الشرق والغرب من مطلع الشّمس إلى مغربها من كان ؟ و كيف كان حاله ؟ ثمّ كتبوا لهم شرح حال الثلاث مسائل على ما عندهم في التوراة .

قالوا لهم : فما المسألة الأُخرى ؟ قال : سلوه عن قيام السّاعة .

فقدم الثلاثة نفر بالمسائل إلى قريش وهم قاطعون أن لاعلم لديه منها ، فمشت قريش إلى رسول الله ﷺ و هو في الحجر و عنده عمّه أبوطالب ، فقالوا : يا أبا طالب إنّ ابن أخيك محمّداً خالف قومه ، وسفّه أحلامهم ، و عاب آلهتهم ، و سبّهـا و أفسد الشباب من رجالهم ، و فرّق جماعتهم ، و زعم أنّ أخبار السّماء تأتيه ، وقد جئنا بمسائل فان أخبرنا بها علمنا أنّه صادق ، و إن لم يخبرنا بها علمنا أنّه كاذب فقال لهم أبوطالب : دونكم فسلوه عمّا بدالكم تجدوه مليّاً .

فقالوا : يـا محمّد أخبرنا عن فئة كانوا في الزّمان الأوّل ثمّ غابوا ثمّ ناموا وانتبهوا كم عددهم ؟ و كم ناموا ؟ و ماكان خبرهم مع قومهم ؟ و أخبرنا عن موسى ابن عمران والعالم الّذي اتّبعه كيف كانت قصّته معه ؟ وأخبرنا عن طائف طاف الشرق والغرب من مطلع الشمس إلى مغربها ؟ و كيف كان خبره ؟

فقال لهم رسول الله ﷺ : إنّي لا أُخبركم بشيء إلاّ من عند ربّي وإنّما أنتظر الوحي ، يجيء ثمّ أُخبركم بهذا غداً ، ولم يستثن إنشاء الله ، فاحتبس الوحي عنه أربعين يوماً حتّى شكّ جماعة من أصحابه ، واغتمّ رسول الله ﷺ ، وفرحت قريش بذلك ، و أكثر المشركون القول ، فلمّا كان بعد أربعين صباحاً نزل عليه بسورة الكهف و فيها قصص ثلاث مسائل ، والمسألة الأُخرى ، فتلاها عليهم .

فلمّا سمعوا بهرهم ما سمعوه و قالوا : قد بيّنت فأحسنت إلاّ أنّ المسألة المفردة ما فهمنا الجواب عنها ، فأنزل الله تعالى « يسئلونك عن السّاعة أيّان مرسيها قل إنّما علمها عند ربّي لايجلّيها لوقتها إلاّ هو ثقلت في السّموات والأرض لايأتيك إلاّ بغتة يسئلونك كأنّك حفيٌّ عنها » إلى قوله سبحانه : « ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون » (١) .

و مثل قصّة عبدالله بن أُبيّ بن سلول و ذلك أنّ رسول الله ﷺ لمّا خرج في غزاة تبوك نزل في منصرفه منزلاً قليل الماء ، وكان عبدالله بن أُبيّ بن سلول رجلاً شريفاً مطاعاً في قومه ، وكان يضرب قبّته وسط العسكر فيجتمع إليه قومه من الخزرج . و من كان على مثل رأيه من المنافقين .

فاجتمع النّاس على بئر كانت في ذلك المنزل قليلة الماء ، وكان في العسكر رجل من المهاجرين يقال لها : جهجهان بن وبر ، فأدلى دلوه و أدلى معه رجل يقال له : سنان بن عبدالله من الأنصار فتعلّق دلوه بدلو جهجهان ، فتواثبا وأخذ جهجهان شيئاً فضرب به رأس ابن سنان فشجّه شجّة موضحة ، و صاح جهجهان إلى قريش والمهاجرين .

فسمع عبدالله بن أُبيّ بن سلول نداء المهاجرين فقال : ما هذا ؟ قالوا : جهجهان ينتدب المهاجرين و قريشاً على الخزرج والأوس ، فقال : أوقد فعلوها ؟ قالوا : نعم ، قال : أما والله لقد كنت كارهاً لهذا المسير ، ثمّ أقبل على قومه فقال لهم : قد قلت : لا تنفقوا عليهم حتّى ينفضّوا ويخرجوا عنكم ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ .

ولمّا سمع زيد بن أرقم ذلك جاء إلى رسول الله ﷺ وكان ابن أرقم أصغرهم سنّاً فيمن كان في مجلس عبدالله بن أُبيّ بن سلول ، فقال زيد : يا رسول الله قد علمت حال عبدالله بن أُبيّ بن سلول فينا و شرفه ولا يمنعني ذلك أن أُخبرك بما سمعت ثمّ أخبره بالخبر .

---

(١) الاعراف : ١٨٧ .

فأمر رسول الله ﷺ بالمسير فقال أصحابه : والله ما هذا وقت مسير . وإنّ ذلك لأمر حدث ، و لمّا بلغ الأنصار ما قاله زيدبن أرقم لرسول الله ﷺ لحق به سعد بن عبادة و قال : يا رسول الله إنّ زيد بن أرقم كذب على عبدالله بن اُبيّ بن سلول وإن كان عبدالله قال شيئاً من هذا فلاتلمه فانّا كنّا نظمنا له الجزع اليمانيّ تاجاً له لنتوّجه فيكون ملكاً علينا ، فلمّا وافيت يا رسول الله رأى أنّك غلبته على أمر قدكان استتبّ له .

ثمّ أقبل سعد على زيد فقال : يا زيد عمدت إلى شريفنا فكذبت عليه ، فلمّا نزل رسول الله ﷺ المنزل الثاني مشى قوم عبدالله بن اُبيّ بن سلول إليه فقالوا له : امض إلى رسول الله ﷺ حتّى يستغفر لك ، فلوّى عبدالله بن اُبيّ بن سلول عنقه واستهزأ ، فلم يزالوا به حتّى صار معهم إلى رسول الله ﷺ فحلف لرسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه لم يقل من ذلك شيئاً ، و أنّ زيد بن أرقم كذب عليه .

فأنزل الله تعالى « إذا جائك المنافقون قالوا نشهد إنّك لرسول الله والله يعلم إنّك لرسوله والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون ☆ اتّخذوا أيمانهم جنّة فصدّوا عن سبيل الله إنّهم ساء ماكانوا يعملون » إلى قوله : « سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم » إلى آخر السّورة و هذا أبواب التنزيل والتأويل .

و أمّا الرّدّ على من أنكر خلق الجنّة والنّار فقال الله تعالى : « عند سدرة المنتهى☆ عندها جنّة المأوى » (٢) وقال رسول الله ﷺ : دخلت الجنّة فرأيت فيها قصراً من ياقوت أحمر ، يرى داخله من خارجه ، وخارجه من داخله من نوره فقلت : يا جبرئيل ! لمن هذا القصر ؟ فقال : لمن أطاب الكلام ، و أدام الصّيام و أطعم الطّعام ، و تهجّد باللّيل والنّاس نيام .

فقلت : يا رسول الله و في اُمّتك من يطيق هذا ؟ فقال لي : ادن منّي فدنوت فقال : ما تدري ما إطابة الكلام ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم ، فقال : هو سبحان الله والحمد لله ، و لا إله إلاّ الله ، والله أكبر ، أتدري ما إدامة الصّيام ؟ فقال : الله أعلم

---

(١) النجم : ١٤-١٥ .

ورسوله ، فقال : من صام شهر رمضان ولم يفطرمنه يوماً ، أتدري ما إطعام الطّعام ؟ فقلت : الله و رسوله أعلم ، فقال : من طلب لعياله ما يكفّ به وجوههم ، أتدري ما التهجّد باللّيل والنّاس نيام ؟ فقلت : الله و رسوله أعلم ، فقال : من لا ينام حتّى يصلّي العشاء الأخرة ، و يريد بالنّاس ههنا اليهود والنّصارى لأنّهم ينامون بين الصّلاتين .

و قال ﷺ : لمّا اُسرى بي إلى السماء دخلت الجنّة فرأيت فيها قيعان و رأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب و لبنة من فضّة ، و ربّما أمسكوا ؟ فقلت لهم : ما بالكم قد أمسكتم ؟ فقالوا : حتّى تجيئنا النّفقة ، فقلت : و ما نفقتكم ؟ قالوا : قول المؤمن : سبحان الله ، والحمد لله ، ولاإله إلاّ الله ، والله أكبر ، فاذا قال : بنينا ، و إذا سكت أمسكنا .

و قال ﷺ : لمّا اُسري بي إلى سبع سماواته ، و أخذ جبرئيل بيدي و أدخلني الجنّة ، وأجلسني على درنوك من درانيك الجنّة و ناولني سفرجلة فانفلقت نصفين ، و خرج حوراء منها ، فقامت بين يدي ، و قالت : السّلام عليك يا محمّد السّلام عليك يا أحمد السّلام عليك يا رسول الله ، فقلت : و عليك السّلام من أنت ؟ فقال: أنا الرّاضية المرضيّة ، خلقني الجبّار من ثلاثة أنواع ، أعلائي من الكافور و وسطي من العنبر ، و أسفلي من المسك ، عجنت بماء الحيوان ، قال لي ربّي : كوني فكنت (١) و هذا و مثله دليل على خلق الجنّة ، وبالعكس من ذلك الكلام في النار .

وأما من أنكر البداء فقد قال الله في كتابه : « فتولّ عنهم فما أنت بملوم » (٢) و ذلك أنّ الله سبحانه أراد أن يهلك الأرض في ذلك الوقت ، ثمّ تدارکهم برحمته فبداله في هلاکهم وأنزل على رسوله « وذكّر فانّ الذّكرى تنفع المؤمنين » (٣) .

---

(١) زاد القمي بعده في تفسيره ص ٢٠ : لاخيك و وصيك علي بن أبي طالب .

(٢) الذاريات : ٥٤ .

(٣) الذاريات : ٥٥ .

و مثله قوله تعالى : « و ماكان الله ليعذّبهم و أنت فيهم و ماكان الله معذّبهم و هم يستغفرون » ثمّ بداله « و مالهم ألاّ يعذّبهم الله و هم يصدّون عن المسجد الحرام » (١) و كقوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين و إن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الّذين كفروا » ثمّ بداله تعالى ، فقال : « الآن خفّف الله عنكم و علم أنّ فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين و إن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصّابرين »(٢) وهكذا يجري الأمر في النّاسخ والمنسوخ و هو يدلّ على تصحيح البداء وقوله : « يمحوا الله مايشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب » (٣) فهل يمحو إلاّ ماكان ، وهل يثبت إلاّ مالم يكن ، ومثل هذا كثير في كتاب الله عزّ وجلّ .

و أمّا الردّ على من أنكر الثواب والعقاب في الدّنيا ، و بعد الموت قبل القيامة فيقول الله تعالى : « يوم يأتي لاتكلّم نفس إلاّ باذنه فمنهم شقيّ وسعيد ☆ فأمّا الّذين شقوا ففي النّار لهم فيها زفير و شهيق خالدين فيها مادامت السّموات والأرض » الآية « وأمّا الّذين سعدوا ففي الجنّة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلاّ ما شاء ربّك » (٤) يعني السّماوات والأرض قبل القيامة ، فاذاكانت القيامة بدّلت السّموات والأرض .

و مثل قوله تعالى : « و من ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون » (٥) و هو أمر بين أمرين ، و هو الثّواب والعقاب بين الدّنيا والآخرة .

ومثل قوله تعالى : « النار يعرضون عليها غدوّاً وعشيّاً ويوم تقوم السّاعة » (٦) والغدوّ والعشيّ لايكونان في القيامة الّتي هي دار الخلود ، وإنّما يكونان في الدّنيا .

و قال الله تعالى في أهل الجنّة : « و لهم رزقهم فيها بكرة و عشيّا » (٧) والبكرة والعشيّ إنّما يكونان من اللّيل والنّهار في جنّة الحياة قبل يوم القيامة

(١) الانفال : ٣٣-٣٤ .
(٢) الانفال : ٦٥- ٦٦ .
(٣) الرعد : ٣٩ .
(٤) هود : ١٠٥ .
(٥) المؤمنون : ١٠٠ .
(٦) غافر : ٤٦ .
(٧) مريم : ٦٢ .

قال الله تعالى : « لا يرون فيها شمساً و لا زمهريراً » (١) .

ومثله قوله سبحانه : « و لا تحسبنّ الّذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون ۞ فرحين بما آتيهم الله من فضله ويستبشرون بالّذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاّ خوف عليهم و لا هم يحزنون » (٢) .

و أمّا الردّ على من أنكر المعراج فقوله تعالى : « و هو بالأفق الأعلى ۞ ثمّ دنى فتدلّى ۞ فكان قاب قوسين أو أدنى ۞ فأوحى إلى عبده ماأوحى » إلى قوله : « عندها جنّة المأوى » (٣) فسدرة المنتهى في السماء السّابعة ثمّ قال سبحانه : « واسئل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا لهم من دون الرحمن آلهة يعبدون » (٤) وإنّما أمر رسوله أن يسأل الرسل في السماء ، ومثله قوله تعالى : «فان كنت في شكّ ممّا أنزلنا إليك فاسئل الّذين يقرؤن الكتاب من قبلك » (٥) يعني الأنبياء عليهم السلام هذا كلّه ليلة المعراج .

و أمّا الردّ على المجبّرة و هم الّذين زعموا أنّ الأفعال إنّما هي منسوبة إلى العباد ، مجازاً لا حقيقة ، و إنّما حقيقتها لله لا للعباد ، و تأوّلوا في ذلك آيات من كتاب الله تعالى لم يعرفوا معناها كما في قوله تعالى : « ولو شاء الله ماأشركوا » (٦) فردّ عليهم أهل الحقّ فقالوا لهم : إنّ في قولكم ذلك بطلان الثواب والعقاب ، إذا نسبتم أفعالكم إلى الله ، تعالى عمّا يصفون ، و كيف يعاقب مخلوقاً على غير فعل منه .

قال الله تعالى : « لا يكلّف الله نفساً إلاّ وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت» (٧) لا يجوز أن يكون إلاّ على الحقيقة لفعلها ، وقوله تعالى: « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ۞ و من يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره » (٨) و قوله سبحانه : « كلّ نفس

---

(١) الانسان : ١٣ . (٢) آل عمران : ١٦٩-١٧٠ .

(٣) النجم : ٧- ١٥ . (٤) الزخرف : ٤٥ .

(٥) يونس : ٩٤ .

(٦) الانعام : ١٠٧ وعد فى تفسير القمى « و ما تشاؤن الا أن يشاء الله » « و من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً » .

(٧) البقرة : ٢٨٦ . (٨) الزلزال : ٧-٨ .

بما كسبت رهينة » (١) و قوله : « لتسئلنّ عمّا كنتم تعملون » (٢) و قوله تعالى : « فكلاً أخذنا بذنبه » إلى قوله : « و ما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» (٣) .

و مثل هذا كثير في كتاب الله تعالى وفيه بطلان ماادّعوه ونسبوه إلى الله تعالى أن يأمر خلقه بما لا يقدرون أو ينهاهم عمّا ليس فيهم صنع و لا اكتساب .

و خالفهم فرقة أخرى في قولهم فقالوا : إنّ الأفعال نحن نخلقها عند فعلنا لها ، وليس فيها صنع ولا اكتساب ولامشيّة ولا إرادة ، ويكون ما يشاء إبليس ولا يكون مالايشاء، فضادّوا المجبّرة في قولهم وادّعوا أنّهم خلاّقون مع الله ، واحتجّوا بقوله: « تبارك الله أحسن الخالقين » (٤) فقالوا: قوله: « تبارك الله أحسن الخالقين » يثبت خلاّقين غيره ، فجهلوا هذه اللّفظة ، و لم يعرفوا معنى الخلق ، و على كم وجه هو .

فسئل عليه السلام عن ذلك و قيل له : هل فوّض الله تعالى إلى العباد ما يفعلون ؟ فقال : الله أعزّ و أجلّ من ذلك ، قيل : فهل يجبرهم على ما يفعلون ؟ قال: الله سبحانه أعدل من أن يجبرهم على فعل ثمّ يعذّبهم عليه، قيل : أبين الهاتين المنزلتين منزلة ثالثة ؟ فقال : نعم ، كما بين السماء والأرض ، فقيل : ما هي؟ قال : سرٌّ من أسرار الله .

و أمّا الردّ على من أنكر الرّجعة فقول الله عزّوجلّ : « و يوم نحشر من كلّ أمّة فوجا ممّن يكذّب بآياتنا فهم يوزعون » (٥) أي إلى الدّنيا ، و أمّا معنى حشر الأخرة فقوله عزّوجلّ : « و حشرناهم فلم نغادرمنهم أحداً » (٦) و قوله سبحانه : « و حرام على قرية أهلكناها أنّهم لا يرجعون » (٧) في الرجعة ، فأمّا

---

(١) المدثر : ٣٨ .
(٢) النحل : ٩٣ .
(٣) العنكبوت : ٤٠ .
(٤) المؤمنون : ١٤ .
(٥) النمل : ٨٣ .
(٦) الكهف : ٤٧ .
(٧) الانبياء : ٩٥ .

في القيامة فانّهم يرجعون .

و مثل قوله تعالى : « و إذ أخذ الله ميثاق النّبيّين لما آتيتكم من كتاب و حكمة ثمّ جائكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمننّ به و لتنصرنّه » (١) و هذا لا يكون إلاّ في الرّجعة ، و مثله ما خاطب الله تعالى به الأئمّة و وعدهم من النّصر والانتقام من أعدائهم فقال سبحانه : « وعدالله الّذين آمنوا منكم و عملوا الصّالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الّذين من قبلهم و ليمكّننّ لهم دينهم الّذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعدخوفهم أمناً يعبدونني لايشركون بي شيئاً» (٢) وهذا إنّما يكون إذارجعوا إلى الدّنيا ، ومثله قوله تعالى : « ونريد أن نمنّ على الّذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمّة و نجعلهم الوارثين » (٣) و قوله سبحانه : « إنّ الّذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد » (٤) أي رجعة الدّنيا .

ومثله قوله : « ألم تر إلى الّذين خرجوا من ديارهم و هم اُلوف حذرالموت فقال لهم الله موتوا ثمّ أحياهم » (٥) ثمّ ماتوا ، وقوله عزّوجلّ : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » (٦) فردّهم الله تعالى بعد الموت إلى الدّنيا و شربوا و نكحوا و مثله خبرالعزيز .

و أمّا من أنكر فضل رسول الله صلى الله عليه وآله فالدّليل على بطلان قوله : قول الله عزّوجلّ : « و إذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى»(٧) فأوّل من سبق من الرسل إلى«بلى» محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله لأنّ روحه أقرب الأرواح إلى ملكوت الله تعالى ، والدّليل على ذلك قول جبرئيل عليه السلام لما اُسري برسول الله صلى الله عليه وآله إلى السماء

---

(١) آل عمران : ٨١.
(٢) النور : ٥٥ .
(٣) القصص : ٥ .
(٤) القصص : ٨٥ .
(٥) البقرة : ٢٤٣ .
(٦) الاعراف : ١٥٥ .
(٧) الاعراف : ١٧٢ .

السّابعة قال : يا محمّد تقدّم فانّك قد وطئت موطئاً لم يطأ قبلك ملك مقرّب ، ولا نبيٌّ مرسل، فلولا أنّ روحه كانت من ذلك المكان لم يقدر أن يتجاوزه ، وذلك أنّه إذا أمر الله تعالى فأوّل ما يصل أمره إلى رسول الله ﷺ لقربه إلى ملكوته ، ثمّ سائر الأنبياء على طبقاتهم .

ويزيد ذلك بياناً قوله تعالى : « و إذ أخذنا من النبيّين ميثاقهم و منك ومن نوح و إبراهيم و موسى و عيسى بن مريم » (١) فأفضل الأنبياء الخمسة ، و أفضل الخمسة محمّد صلّى الله عليه وآله و عليهم أجمعين ، قال الله تعالى : « إنّه لقول رسول كريم ✡ ذي قوّة عند ذي العرش مكين ✡ مطاع ثمّ أمين » (٢) .

والدّليل على أنّه أفضل الأنبياء أنّ الله سبحانه أخذ ميثاقه على سائر الأنبياء فقال سبحانه : « و إذ أخذ الله ميثاق النبيّين لما آتيتكم من كتاب و حكمة ثمّ جائكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمننّ به و لتنصرنّه قال ء أقررتم و أخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا و أنا معكم من الشّاهدين » (٣) فهذا بيان فضل رسول الله ﷺ على سائر المرسلين والنبيّين ، و نطق به الكتاب .

و لما اُسري برسول الله ﷺ إلى السماء الرّابعة ، و دخل إلى البيت المعمور جمع الله عزّ وجلّ له من النبيّين من آدم فهلمّ حتّى صلّى بهم ، قال الله تعالى : « و اسئل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرّحمن آلهة يعبدون » (٤) و في هذا مقنع لمن تأمّله .

وأمّا عصمة الأنبياء والمرسلين والأوصياء عليهم السلام فقد قيل في ذلك أقاويل تختلف قال بعض النّاس : هو مانع من الله تعالى يمنعهم عن المعاصي فيما فرض الله عليهم من التبليغ عنه إلى خلقه ، و هو فعل الله دونهم ، و قال آخرون : العصمة من فعلهم لأنّهم يحمدون عليها ، و قال آخرون : يجوز على الأنبياء والمرسلين والأوصياء

---

(١) الأحزاب : ٧ . (٢) التكوير : ٢٠- ٢٢ .

(٣) آل عمران : ٨١ .

(٤) الزخرف : ٤٥ .

مايجوز على غيرهم من الذّنوب كلّها ، والأوّل باطل ، لقوله : « و اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا » (١) وقوله تعالى : « ولقد راودته عن نفسه فاستعصم» (٢) أي امتنع ، لأنّ العصم هو المنع ، و قد غلط من أجرى الرّسل والأنبياء مجرى العباد ، يقع منهم الأفعال الذّميمة من أربعة وجوه : من الحسد والحرص والشهوة والغضب ، فجميع تصرّفات النّاس الّتي هي من قبل الأجساد لايحدث إلاّ من أحد هذه الوجوه الأربعة .

والأنبياء والرّسل والأوصياء عليهم السلام لا يقع منهم فعل من جهة الحسد لأنّ الحاسد إنّما يحسد من هو فوقه ، و ليس فوق الأنبياء والرّسل والأوصياء أحدٌ منزله أعلا من منازلهم فيحسدوه عليها ، ولايجوز أن يقع منهم فعل من جهة الحرص في الدّنيا على شيء من أحوالها لأنّ الحرص مقرون به الأمل ، وحال الأمل منقطعة عنهم ، لأنّهم يعرفون مواضعهم من كرامة الله عزّ وجلّ .

و أمّا الشهوة فجعلها الله تعالى فيهم لما أراده من بقائهم في الدّنيا ، وانقطاع الخلائق لهم ، ووفاقتهم إليهم ، فلولا موضع الشهوة لما أكلوا ، فبطل قوّة أجسامهم عن تكليفاتهم ، ويبطل حال النكاح فلا يكون لهم نسل ولا ولد ، وما جرى مجرى ذلك ، فالشهوة مركّبة فيهم لذلك ، وهم معصومون ممّا يعرض لغيرهم من قبيح الشهوات .

ويكون الاصطبار وترك الغضب فيهم ، فهم لايغضبون إلاّ في طاعة الله تعالى قال الله سبحانه : «قاتلوا الّذين يلونكم من الكفّار وليجدوا فيكم غلظة» (٣) فالفصل يقع بين الأنبياء والرّسل والأوصياء من جهة الغضب ، ولايكون غضبهم إلاّ لله تعالى وفي الله سبحانه ، فهذا معنى عصمة الله تعالى الأنبياء والرّسل والأوصياء ، فهم صلوات الله عليهم يجتمعون مع العباد في الشهوة والغضب على الأسماء ويباينونهم في المعنى .

---

(١) آل عمران : ١٠٣ .

(٢) يوسف : ٣٢ . (٣) براءة : ١٢٣ .

وأمّا الردّ على المشبّهة فقول الله عزّ وجلّ: «و أنّ إلى ربّك المنتهى» (١) فاذا انتهى إلى الله (٢) فأمسكوا وتكلّموا فيما دون ذلك من العرش فما دونه.

وارجعوا إلى الكلام في مخاطبة النبيّ صلى الله عليه وآله والمراد غيره فمن ذلك قول الله عزّ وجلّ: «و لا تدع مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنّم ملوماً مدحوراً» (٣) والمخاطبة لرسول الله صلى الله عليه وآله والمراد بالخطاب الأمّة، و منه قوله تعالى: «يا أيّها النبيّ إذا طلّقتم النساء فطلّقوهنّ لعدّتهنّ» (٤) «يا أيّها النّبيّ اتّق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين» (٥) والمخاطبة له، والمراد بالخطاب أمّته.

أمّا ما نزل في كتاب الله تعالى ممّا هو مخاطبة لقوم والمراد به قوم آخرون فقول الله عزّ وجلّ: «و قضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنّ في الأرض مرّتين ولتعلنّ علوّاً كبيراً» (٦) والمعنى والخطاب مصروف إلى أمّة محمّد صلى الله عليه وآله و أصل التنزيل لبني إسرائيل.

وأمّا الاحتجاج على من أنكر الحدوث مع ما تقدّم، فهو أنّا لما رأينا هذا العالم المتحرّك متناهية أزمانه وأعيانه وحركاته و أكوانه، و جميع مافيه، ووجدنا ماغاب عنّا من ذلك يلحقه النهاية، و وجد[نا] العقل يتعلّق بما لا نهاية، و لو لا

---

(١) النجم: ٢٤.

(٢) في تفسير القمي ـ والظاهر عندي أنه ينقل من اصل هذه الرسالة ـ قال: حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن جميل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اذا انتهى الكلام الى الله فأمسكوا و تكلموا فيما دون العرش، ولاتكلموا فيمافوق العرش فان قوماً تكلموا فيما فوق العرش فتاهت عقولهم حتى كان الرجل ينادي من بين يديه فيجيب من خلفه، وينادي من خلفه فيجيب من بين يديه.

(٣) أسرى: ٣٩ ونصها: «ولاتجعل». (٤) الطلاق: ١.

(٥) الاحزاب: ١. (٦) أسرى: ٤.

ذلك لم يجد العقل دليلاً يفرّق ما بينهما ، و لم يكن لنا بدٌّ من إثبات ما لا نهاية له معلوماً معقولاً أبديّاً سرمدياً ليس بمعلوم أنّه مقصور القوى ، و لا مقدور و لا متجزىء و لا منقسم ، فوجب عند ذلك أن يكون ما لا يتناهى مثل ما يتناهى .

و إذ قد ثبت لنا ذلك ، فقد ثبت في عقولنا أنّ مالا يتناهى هو القديم الأزليّ وإذا ثبت شيء قديم و شيء محدث ، فقد استغنى القديم الباري للأشياء عن المحدث الّذي أنشأه وبرأه وأحدثه ، وصحّ عندنا بالحجّة العقليّة أنّه المحدث للأشياء و أنّه لا خالق إلاّ هو ، فتبارك الله المحدث لكلّ محدث ، الصانع لكلّ مصنوع المبتدع للأشياء من غير شيء .

و إذا صحّ أنّي لا أقدر أن أحدث مثلي استحال أن يحدثني مثلي ، فتعالى المحدث للأشياء عمّا يقول الملحدون علوّاً كبيراً .

ولمّا لم يكن إلى إثبات صانع العالم طريق إلاّ بالعقل لأنّه لا يحسّ فيدركه العيان أو شيء من الحواسّ ، فلو كان غير واحد بل اثنين أو أكثر لأوجب العقل عدّة صنّاع كما أوجب إثبات الصانع الواحد ، ولو كان صانع العالم اثنين لم يجر تدبيرهما على نظام ، و لم ينسق أحوالهما على إحكام ، ولا تمام ، لأنّه معقول من الاثنين الاختلاف في دواعيهما وأفعالهما .

و لا يجوز أن يقال إنّهما متّفقان و لا يختلفان ، لأنّ كلّ من جاز عليه الاتّفاق جاز عليه الاختلاف ، ألا ترى أنّ المتّفقين لا يخلو أن يقدر كلٌّ [منهما على ذلك أو لا يقدر كلٌّ منهما على] ذلك فان قدرا كانا جميعاً عاجزين ، وإن لم يقدرا كانا جاهلين ، والعاجز والجاهل لا يكون إلهاً ولا قديماً .

وأمّا الردّ على من قال بالرأي والقياس والاستحسان والاجتهاد ، ومن يقول إنّ الاختلاف رحمة ، فاعلم أنّا لما رأينا من قال بالرأي والقياس قد استعمل شبهات الأحكام لمّا عجزوا عن عرفان إصابة الحكم ، وقالوا : ما من حادثة إلاّ ولله فيها حكم ولا يخلو الحكم من وجهين إمّا أن يكون نصّاً أو دليلاً وإذ رأينا الحادثة قد عدم نصّها فزعنا ـ أي رجعنا ـ إلى الاستدلال عليها بأشباهها ونظائرها ، لأنّا متى لم نفزع إلى

ذلك أخلناها من أن يكون لها حكم ، ولا يجوز أن يبطل حكم الله في حادثة من الحوادث ، لأنّه سبحانه يقول : «مافرطنّا في الكتاب من شيء» (١) ولمارأينا الحكم لا يخلو والحدث لاينفكّ من الحكم التمسناه من النظائر لكي لاتخلو الحادثة من الحكم بالنصّ أوبالاستدلال وهذا جائز عندنا .

قالوا : و قدرأينا الله تعالى قاس في كتابه بالتشبيه والتمثيل ، فقال : « خلق الانسان من صلصال كالفخّار ☆ وخلق الجانّ من مارج من نار» (٢) فشبّه الشيء بأقرب الأشياء به شبهاً .

قالوا : وقدرأينا النبيّ استعمل الرأي والقياس بقوله للمرأة الخثعميّة حين سألت عن حجّها عن أبيها فقال : أرايت لوكان على أبيك دين لكنت تقضينه عنه ؟ فقد أفتاها بشيء لم تسأل عنه ، وقوله لمعاذبن جبل حين أرسله إلى اليمن : أرأيت يامعاذ إن نزلت بك حادثة لم تجدلها في كتاب الله عزّوجلّ أثراً ولا في السنّة ما أنت صانع ؟ قال : أستعمل رأيي فيهـا ، فقال : الحمد لله الّذي وفّق رسوله إلى ماء يرضيه .

قالوا : وقد استعمل الرأي والقيـاس كثير من الصحابة و نحن على آثارهم مقتدون ، ولهم احتجاج كثير في مثل هذا .

فقد كذبوا على الله تعالى في قولهم إنّه احتاج إلى القياس ، و كذبوا على رسوله ﷺ قالوا عنه مالم يقل من الجواب المستحيل .

فنقول لهم ردًّا عليهم : إنّ اُصول أحكام العبادات ومايحدث في الاُمّة من النوازل والحوادث ، لمّا كانت موجودة عن السّمع والنطق والنصّ المختصّ في كتاب ففروعها مثلها وإنّما أردنا بالاُصول في جميع العبادات والمفترضات ، الّتي نصّ الله عزّوجلّ عليها وأخبرنا عن وجوبها ، وعن النبيّ ﷺ وعن وصيّه المنصوص عليه بعده في البيان من أوقاتهـا و كيفيّتها و أقدارها في مقاديرها عن الله عزّوجلّ ، مثل فرض الصلاة

---

(١) الانعام : ٣٨ .

(٢) الرحمن : ١٤-١٥ .

والزكاة والصيام والحجّ والجهاد و حدّ الزّنا وحدّ السرق و أشباهها ممّا نزل في الكتاب مجملاً بلا تفسير فكان رسول الله ﷺ هوالمفسّر والمعبّر عن جمل الفرائض فعرّفنا أنّ فرض صلاة الظهرأربع ، ووقتها بعد زوال الشمس ، يفصل مقدار ماتقرأ الانسان ثلاثين آية ، وهذا الفرق بين صلاة الزوال وبين صلاة الظهر، ووقت العصر آخر وقت الظهر إلى وقت مهبط الشمس ، و أنّ المغرب ثلاث ركعات و وقتها حين الغروب إلى إدبار الشفق والحمرة ، و أنّ وقت صلاة العشاء الأخرة و هي أربع ركعات وأوسع الأوقات ، أوّل وقتها حين اشتباك النجوم ، وغيبوبة الشفق وانبساط الكلام، وآخر وقتها ثلث اللّيل وروي نصفه ، والصبح ركعتان و وقته طلوع الفجر إلى إسفار الصبح .

وأنّ الزكاة يجب في مال دون مال ، ومقدار دون مقدار ، ووقت دون أوقات ، وكذلك جميع الفرائض الّتي أوجبها الله سبحانه على عباده بمبلغ الطاقات ، وكنه الاستطاعات .

فلولا ما ورد النصّ به من تنزيل كتاب الله تعالى و ما أبان رسوله و فسّره لنا و أبانه الأثر و صحيح الخبر لقوم آخرين ، لم يكن لأحد من النّاس المأمورين بأداء الفرائض أن يوجب ذلك بعقله ، و إقامة معاني فروضه و بيان مراد الله تعالى في جميع ماقدّمنا ذكره على حقيقة شروطه ، ولاتصحّ إقامة فروضه بالقياس والرأي ولاأن يهتدي العقول على انفرادها ولوانفردلايوجب فرض صلاة الظّهر أربعاًدون خمس أو ثلاث ، ولايفصل أيضاً بين قبل الزّوال وبعده و لا تقدّم السّجود على الرّكوع والركوع على السّجود ، أوحدّ زنا المحصن والبكر، ولابين العقارات والمال النّقد في وجوب الزكاة ، و لو خلّينا بين عقولنا و بين هذه الفرائض لم يصحّ فعل ذلك كلّه بالعقل على مجرّده ، و لم يفصل بين القياس و ما فصّلت الشريعة والنّصوص إذ كانت الشريعة موجودة عن السمع والنطق الّذي ليس لنا أن نتجاوز حدودها ، ولو جاز ذلك وصحّ ، لاستغنينا عن إرسال الرّسل إلينا بالأمر والنّهي منه تعالى ، ولمّا كانت الأصول لا تجب على ما هي من بيان فرضها إلاّ بالسّمع والنّطق ، فكذلك الفروع والحوادث الّتي تنوب وتطرق منه تعالى لم يوجب الحكم فيها بالقياس دون

النصّ بالسمع والنطق

و أما احتجاجهم و اعتلالهم بأنّ القياس هو التشبيه والتمثيل و أنّ الحكم جائز به ، وردّ الحوادث أيضاً إليه ، فذلك محال بيّن ومقال شنيع لأنّا نجد شيئاً قد وفّق الله تعالى بين أحكامها و إن كانت متفرّقة و نجد أشياء و قد فرّق الله بين أحكامها ، وإن كانت مجتمعة ، فدلّنا ذلك من فعل الله تعالى على أنّ اشتباه الشيئين غير موجب لاشتباه الحكمين ، كما ادّعاه مستحلّوا القياس والرّأي .

و ذلك أنّهم لمّا عجزوا عن إقامة الأحكام على ما أُنزل في كتاب الله تعالى وعدلوا عن آخذها من أهلها ممّن فرض الله سبحانه طاعتهم على عباده ، ممّن لا يزلّ ولا يخطىء ولا ينسى ـ الّذين أنزل الله كتابه عليهم ، وأمر الأمّة بردّ ما اشتبه عليهم من الأحكام إليهم ـ و طلبوا الرّياسة رغبة في حطام الدّنيا ، و ركبوا طرائق أسلافهم ، ممّن ادّعى منزلة أولياء الله لزمهم العجز ، فادّعوا أنّ الرأي والقياس واجب فبان لذوي العقول عجزهم ، و إلحادهم في دين الله تعالى ، و ذلك أنّ العقل على مجرّده وانفراده لا يوجب ولا يفصل بين أخذ شيء بغصب و نهب و بين أخذه بسرقة و إن كانا مشتبهين ، والواحد منهما يوجب القطع والآخر لا يوجبه .

و يدلّ أيضاً على فساد ما احتجّوا به من ردّ الشيء في الحكم إلى اعتبار نظائره أنّا نجد الزّنا من المحصن والبكر سواء و أحدهما يوجب الرجم والآخر يوجب الجلد ، فعلمنا أنّ الأحكام مأخذها من السّمع والنّطق على حسب ما يرد به التوقيف دون اعتبار النظائر والأعيان ، و هذه دلالة واضحة على فساد قولهم ، ولو كان الحكم في الدّين بالقياس ، لكان باطن القدمين أولى بالمسح من ظاهرهما .

قال الله تعالى حكاية عن إبليس في قوله بالقياس : « أنا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين » (١) فذمّه الله لما لم يدر ما بينهما ، و قد ذمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام القياس ، يرث ذلك بعضهم عن بعض ، و يرويه عنهم أولياؤهم .

(١) سورة الاعراف : ١٢ ، سورة ص : ٧٦.

و أمّا الرّدّ على من قال بالاجتهاد : فانّهم يزعمون أنّ كلّ مجتهد مصيب على أنّهم لا يقولون مع اجتهادهم أصابوا معنى حقيقة الحقّ عند الله عزّ وجلّ لأنّهم في حال اجتهادهم ينتقلون من اجتهاد إلى اجتهاد ، و احتجاجهم أنّ الحكم به قاطع ، قول باطل منقطع منتقض ، فأيّ دليل أدلّ من هذا على ضعف اعتقاد من قال بالاجتهاد والرّأي إذكان حالهم تؤول إلى ما وصفناه .

و زعموا أيضاً أنّه محال أن يجتهدوا فيذهب الحقّ من جماعتهم وقولهم بذلك فاسد ، لأنّهم إن اجتهدوا فاختلفوا فالتقصير واقع بهم ، و أعجب من هذا أنّهم يقولون مع قولهم بالاجتهاد والرأي : إنّ الله تعالى بهذا المذهب لم يكلّفهم إلاّ بما يطيقونه و كلام النّبيّ صلى الله عليه وآله .

واحتجّوا بقول الله تعالى : « وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره»(١) وهو بزعمهم وجه الاجتهاد ، و غلطوا في هذا التأويل غلطاً بيّنا .

قالوا : و من قول الرّسول : ما قاله لمعاذ بن جبل ، وادّعوا أنه أجاز ذلك والصّحيح أنّ الله سبحانه لم يكلّف العباد اجتهاداً لأنّه قد نصب لهم أدلّة ، و أقام لهم أعلاماً ، و أثبت عليهم الحجّة . فمحال أن يضطرّهم إلى مالايطيقون بعد إرساله إليهم الرّسل بتفصيل الحلال والحرام ، ولم يترکهم سدى ، ومهما عجزوا عنه ردّوه إلى الرّسل والأئمّة صلوات الله عليهم و هو يقول : « ما فرّطنا في الكتاب من شيء » (٢) و يقول : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي » (٣) ويقول سبحانه : « فيه تبيان كلّ شيء » (٤) .

و من الدّليل على فساد قولهم في الاجتهاد والرأي والقياس أنّه لن يخلو الشيء أن يكون تمثيلاً على أصل أو يستخرج البحث عنه ، فإن كان بحث عنه فانّه لايجوز في عدل الله تعالى تكليف العباد ذلك ، وإن كان تمثيلاً على أصل ، فلن يخلو

---

(١) البقرة : ١٤٤ . (٢) الانعام : ٣٨ .

(٣) المائدة : ٣ .

(٤) النحل : ٨٩ ، و نصها : « و نزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » .

الأصل أن يكون حرم لمصلحة الخلق ، أو لمعنى في نفسه خاصّ ، فان كان حرّم لمعنى في نفسه خاصّ فقد كان قبل ذلك حلالاً ثمّ حرّم بعد ذلك لمعنى فيه ، بل لو كان العلّة المعنى لم يكن التحريم له أولى من التّحليل ، ولمّا فسد هذا الوجه من دعواهم ، علمنا أنّه لمعنى أنّ الله تعالى إنّما حرّم الأشياء لمصلحة الخلق ، لا للعلّة الّتي فيها ، ونحن إنّما ننقي القول بالاجتهاد ، لأنّ الحقّ عندنا ممّا قدّمناه ذكره من الأصول الّتي نصبها الله تعالى ، والدلائل الّتي أقامها لنا ، كالكتاب والسنّة والامام الحجّة ، ولن يخلو الخلق عندنا من أحد هذه الأربعة وجوه الّتي ذكرناها و ما خالفها فباطل .

و أمّا اعتلالهم بما اعتلّوا به من شطر المسجد الحرام والبيت فمستحيل بيّن الخطأ ، لأنّ معنى « شطره » نحوه ، فبطل الاجتهاد فيه ، و زعموا أنّ على الذي لم يهتد إلى الأدلّة والأعلام المنصوبة للقبلة أن يستعمل رأيه حتّى يصيب بغاية اجتهاده ، و لم يقولوا حتّى يصيب نحو توجّهه إليه .

و قد قال الله عزّ وجلّ : « و حيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره » يعني تعالى على نصب من العلامات والأدلّة ، وهي الّتي نصّ على حكمها بذكر العلامات والنّجوم في ظاهر الآية ، ثمّ قال تعالى : « و إنّ الذين اُوتوا الكتاب ليعلمون أنّه الحقّ من ربّك » و لم يقل و إنّ الّذين اضطرّوا إلى الاجتهاد .

فدلّ على أنّ الله تعالى أوجب عليهم استعمال الدّليل في التّوجه ، و عند الاشتباه عليهم ، لاصابة الحقّ ، فمعنى شطره نحوه يعني تعالى نحو علاماته المنصوصة عليه ، و معنى شطره نحوه إن كان مرئيّاً ، و بالدلائل والأعلام إن كان محجوباً فلو علمت القبلة الواجب استقبالها والتّولّي والتّوجه إليها ولم يكن الدّليل عليها موجوداً حتّى استوى الجهات كلّها ، له حينئذ أن يصلّي بحال اجتهاد ، وحيث أحبّ واختار ، حتّى يكون على يقين من بيان الأدلّة المنصوبة والعلامات المبثوثة ، فان مال عن هذا الموضع ما ذكرناه حتّى يجعل الشرق غرباً والغرب شرقاً زال معنى اجتهاده ، وفسد اعتقاده .

و قد جاء عن النّبيّ ﷺ خبر منصوص مجمع عليه أنّ الأدلّة المنصوبة على بيت الله الحرام لايذهب بكلّيتها بحادثة من الحوادث منّاً من الله عزّ وجلّ على عباده في إقامة ما افترضه عليهم .

وزعمت طائفة ممّن يقول بالاجتهاد أنّه إذا أشكل عليه من جهة حتّى يستوي عنده الجهات كلّها ، تحرّى واتّبع اجتهاده حيث بلغ به ، فانّ ذلك جائز بزعمهم وإن كان لم يصب وجه حقيقة القبلة ، و زعموا أيضاً أنه إذا كان على هذا السّبيل مائة رجل لم يجز لأحد منهم أن يتّبع اجتهاد الآخر ، فهم بهذه الأقوال ينقضون أصل اعتقادهم .

و زعموا أنّ الضرير والمكفوف له أن يقتدي بأحد هؤلاء المجتهدين ، فله أن ينتقل عن قول الأوّل منهم إلى قول الآخر ، فجُعلوا مع اجتهادهم كمن لم يجتهد ، فلم يؤل بهم الاجتهاد ، إلاّ إلى حال الضّلال ، والانتقال من حال إلى حال فأيّ دين أبدع و أيّ قول أشنع من هذه المقالة أوأبين عجزاً ممّن يظنّ أنّه من أهل الاسلام . و هو على مثل هذا الحال ، نعوذ بالله من الضّلالة بعد الهدى واتّباع الهوى ، وإيّاه نستعين على مايقرب منه ، إنّه سميع مجيب(١) .

أقول: وجدت رسالة قديمة مفتتحها هكذا : حدّثنا جعفر بن محمّد بن قولويه القميّ رحمه الله قال : حدّثني سعد الأشعري القميّ أبو القاسم رحمه الله وهو مصنّفه الحمد لله ذي النّعماء والآلاء ، والمجد والعزّ والكبرياء ، و صلّى الله على محمّد سيّد الأنبياء ، و على آله البررة الأتقياء ، روى مشايخنا عن أصحابنا ، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : انزل القرآن على سبعة أحرف كلّها شاف كاف : أمر ، وزجر ، وترغيب ، و ترهيب ، و جدل ، و قصص ، و مثل . وساق الحديث إلى آخره لكنّه ، غيّر الترتيب ، و فرّقه على الأبواب ، و زاد فيما بين ذلك بعض الأخبار (٢) .

---

(١) طبعت هذا الرسالة بعنوان المحكم والمتشابه منسوباً الى السيد المرتضى ره .

(٢) قدمر في ج ٩٢ ص ٦٠ ـ ٧٧ شطرمنه ، وهكذا فرقه المؤلف فى سائر الابواب حيث أراد

8

8774

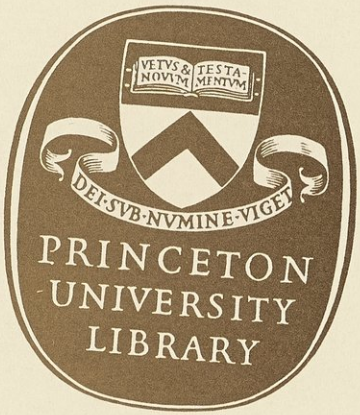

VETUS & TESTAMENTUM NOVUM
DEI SUB NUMINE VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa
JULY-AUG 1992
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 077904041